THE BOOK WAS DRENCHED

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190892

UNIVERSAL
LIBRARY

OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY
Call No. 891.5 C.L Accession No. 10414
Author -
Title 415606

This book should be returned on or before the date last marked below.

قررت وزارة المعارف العمومية استعمال هذا الكتاب بمدارسها الابتدائية

القراءة الرشيدة

الجزء الرابع

تأليف

عبد الفتاح صبري بك و علي عسمر بك

وكيل وزارة المعارف العمومية — سكرتير الجامعة المصرية العام

حقوق الطبع محفوظة

(الطبعة الحادية عشرة)

سنة ١٩٢٩

يطلب من

نجيب متري

صاحب مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه وسائر النبيين

وبعد فان الزمان قد دار وسار وهبّ الكل يطلب العلم الصغار والكبار ولما كان أولى المسائل بالاهتمام والعناية تعليم القراءة والكتابة وشيء مما في الدنيا من آيات الله أنشأنا هذه الكتب الاربعة أساسها التدرج وسهولة الأخذ وبناؤها على أحسن أساليب التربية وأحدثها وحالة نشوء المدارك وتطورها ورجاؤنا من المولى سبحانه وتعالى أن يجعلها سديدة الخطى رشيدة الغاية انه ولي التوفيق

﴿ ١ — آياتُ الخالقِ ﴾

تُظهرُ قانتٌ

فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ
وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ
يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ
خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ وَمِنْ
آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا
إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِلْعَالِمِينَ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ
مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَمِنْ
آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَيُحْيِي بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ ٱلسَّمَاءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِ
ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ ٱلْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ
وَلَهُ مَنْ فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ وَهُوَ
ٱلَّذِي يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ
ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ
تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

(القرآن الكريم)

﴿ ٢ — اَلسَّاعَةُ اَلدَّقَّاقَةُ عِنْدَ اَلْعَرَبِ ﴾

طَاسٌ اَلِانْتِكَاسُ

إِنَّ صُنْدُوقَ اَلسَّاعَاتِ اَلَّتِى بِهَا نَتَعَرَّفُ أَوْقَاتَ اَلصَّلَوَاتِ يَتَرَكَّبُ مِنْ آلَةٍ عَلَى شَكْلِ أُسْطُوَانَةٍ تَحْتَوِى مِقْدَارًا مِنَ اَلْمَاءِ مَعْلُومًا وَآلَةٍ أُخْرَى مُجَوَّفَةٍ مَوْضُوعَةٍ فِيهَا فَوْقَ اَلْمَاءِ وَخَيْطٍ مَشْدُودٍ أَحَدُ طَرَفَيْهِ فِى هٰذِهِ اَلْآلَةِ

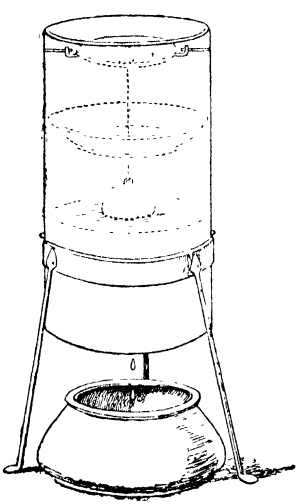

اَلظَّرْفُ وَاَلْكُرَةُ

اَلطَّاسُ

اَلْآلَةُ اَلْمُجَوَّفَةُ

اَلْأُسْطُوَانَةُ

اَلْمُجَوَّفَةِ وَطَرَفُهُ اَلْآخَرُ فِى أَسْفَلِ ظَرْفٍ صَغِيرٍ مَوْضُوعٍ

فَوْقَ ٱلْآلَةِ ٱلْمجوَّفَةِ وَفِيهِ كُرَةٌ وَتَحْتَهُ طَاسٌ بِحَيْثُ لَو سَقَطَتِ ٱلْكُرَةُ وَقَعَتْ فِي ٱلطَّاسِ وَسُمِعَ طَنِينُهَا ثُمَّ يُثْقَبُ أَسْفَلُ ٱلْآلَةِ ٱلْأُسْطُوَانِيَّةِ ثَقْبًا بِقَدْرٍ مَعْلُومٍ يَنْزِلُ ٱلْمَاءُ مِنْهُ قَلِيلًا قَلِيلًا فَإِذَا ٱنْخَفَضَ ٱلْمَاءُ ٱنْخَفَضَتِ ٱلْآلَةُ ٱلْمجوَّفَةُ ٱلْمَوْضُوعَةُ عَلَى وَجْهِ ٱلْمَاءِ فَامْتَدَّ ٱلْخَيْطُ ٱلْمَشْدُودُ بِهَا فَحَرَّكَ ٱلظَّرْفَ ٱلَّذِي فِيهِ ٱلْكُرَةُ تَحْرِيكًا يُقَرِّبُهُ مِنَ ٱلْٱنْتِكَاسِ إِلَى أَنْ يَنْتَكِسَ فَتَتَدَحْرَجُ مِنْهُ ٱلْكُرَةُ وَتَقَعُ فِي ٱلطَّاسِ وَتَطِنُّ وَعِنْدَ ٱنْقِضَاءِ كُلِّ سَاعَةٍ تَقَعُ وَاحِدَةٌ

وَإِنَّمَا يَتَقَدَّرُ ٱلْفَصْلُ بَيْنَ ٱلْوَقْتَيْنِ بِتَقْدِيرِ خُرُوجِ ٱلْمَاءِ وَٱنْخِفَاضِهِ وَذَلِكَ بِتَقْدِيرِ سَعَةِ ٱلثَّقْبِ ٱلَّذِي يَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَاءُ وَيُعْرَفُ ذَلِكَ بِطَرِيقِ ٱلْحِسَابِ فَيَكُونُ نُزُولُ ٱلْمَاءِ بِمِقْدَارٍ مُقَرَّرٍ مَعْلُومٍ بِسَبَبِ تَقْدِيرِ سَعَةِ ٱلثَّقْبِ بِقَدْرٍ مَعْلُومٍ وَيَكُونُ أَعْلَى ٱلْمَاءِ بِذَلِكَ ٱلْمِقْدَارِ

وَيَتَقَدَّرُ بِهِ انْخِفَاضُ الْآلَةِ الْمُجَوَّفَةِ وَانْجِرَارُ الْخَيْطِ الْمَشْدُودِ بِهَا وَيُوَلِّدُ الْحَرَكَةَ فِي الظَّرْفِ الَّذِي فِي الْكُرَةِ وَكُلُّ ذَلِكَ يَتَقَدَّرُ بِتَقَدُّرِ سَعَتِهِ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ وَيُمْكِنُ أَنْ يُجْعَلَ وُقُوعُ الْكُرَةِ فِي الطَّاسِ سَبَبًا لِحَرَكَةٍ أُخْرَى وَتَكُونُ الْحَرَكَةُ الْأُخْرَى سَبَبًا لِحَرَكَةٍ ثَالِثَةٍ وَهَكَذَا إِلَى دَرَجَاتٍ كَثِيرَةٍ حَتَّى يَتَوَلَّدَ مِنْهَا حَرَكَاتٌ عَجِيبَةٌ مُقَدَّرَةٌ بِمَقَادِيرَ مَحْدُودَةٍ وَسَبَبُهَا الْأَوَّلُ نُزُولُ الْمَاءِ بِقَدْرٍ مَعْلُومٍ

(الإمام الغزالي)

﴿ ٣٠ — خُطْبَةُ طَارِقٍ قَبْلَ فُتُوحِ الْأَنْدَلُسِ ﴾

دُنُوٌّ خُذْلَانٌ مُنَاجَزَةٌ الطَّاغِيَةُ

الْأَرْفَهُ يُغْوِزُ عَزِيمَةٌ

لَمَّا بَلَغَ طَارِقًا دُنُوُّ لُذَرِيقَ قَامَ فِي أَصْحَابِهِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ « أَيُّهَا النَّاسُ أَيْنَ الْمَفَرُّ الْبَحْرُ مِنْ

وَرَائِكُمْ وَٱلْعَدُوُّ أَمَامَكُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ وَٱللهِ إِلَّا ٱلصِّدْقُ
وَٱلصَّبْرُ وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ هُنَا أَضْيَعُ مِنَ ٱلْأَيْتَامِ فِي مَأْدُبَةِ
ٱللِّئَامِ وَقَدِ ٱسْتَقْبَلَكُمْ عَدُوُّكُمْ بِجَيْشِهِ وَأَسْلِحَتِهِ وَأَقْوَاتُهُ
مَوْفُورَةٌ وَأَنْتُمْ لَا وِزْرَ لَكُمْ إِلَّا سُيُوفَكُمْ وَلَا أَقْوَاتَ
إِلَّا مَا تَسْتَخْلِصُونَهُ مِنْ أَيْدِي عَدُوِّكُمْ وَإِنِ ٱمْتَدَّتْ بِكُمُ
ٱلْأَيَّامُ عَلَى ٱفْتِقَارِكُمْ وَلَمْ تُنْجِزُوا لَكُمْ أَمْرًا ذَهَبَ
رِيحُكُمْ وَتَعَوَّضَتِ ٱلْقُلُوبُ مِنْ رُعْبِهَا مِنْكُمُ ٱلْجُرْأَةَ
عَلَيْكُمْ فَٱرْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ خُذْلَانَ هَذِهِ ٱلْعَاقِبَةِ مِنْ
أَمْرِكُمْ بِمُنَاجَزَةِ هَذَا ٱلطَّاغِيَةِ فَقَدْ أَلْقَتْ بِهِ إِلَيْكُمْ
مَدِينَتُهُ ٱلْحَصِينَةُ وَإِنَّ ٱنْتِهَازَ ٱلْفُرْصَةِ فِيهِ لَمُمْكِنٌ إِنْ
سَمَحْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ بِٱلْمَوْتِ وَإِنِّي لَمْ أُحَذِّرْكُمْ أَمْرًا
أَنَا عَنْهُ بِنَجْوَةٍ وَلَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى خُطَّةٍ أَرْخَصُ مَتَاعٍ فِيهَا
ٱلنُّفُوسُ إِلَّا أَبْدَأُ بِنَفْسِي وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ صَبَرْتُمْ
عَلَى ٱلْأَشَقِّ قَلِيلًا ٱسْتَمْتَعْتُمْ بِٱلْأَرْفَهِ ٱلْأَلَذِّ طَوِيلًا فَلَا

ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه بأوفر من حظي والله تعالى ولي إنجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين واعلموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه وأني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى فاحملوا معي فإن هلكت بعده فقد كفيتم أمره ولم يعوزكم بطل عامل تسندون أموركم إليه وإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا لهم من فتح هذه الأراضي بقتله »

﴿ ٤ — السفرة الثانية من سفرات السندباد البحري (١) ﴾

انهمك الأهبة مكين تتعوض
ديار السفرة مرارة ملمسا
تنقطر

لَمَّا انْهَمَكْتُ فِي اللَّذَّاتِ وَانْتِهَابِ الْمَسَرَّاتِ خَطَرَ بِبَالِي السَّفَرُ وَاشْتَاقَتْ نَفْسِي لِلْمَتْجَرِ وَنَسِيتُ مَا لَاقَيْتُ مِنَ الشِّدَّاتِ فَأَخَذْتُ فِي الْأُهْبَةِ وَاشْتَرَيْتُ مَتْجَرًا مَلِيحًا وَشَدَدْتُ الْأَحْمَالَ وَسَافَرْتُ مَعَ تُجَّارٍ مُرَافِقِينَ وَرِفَاقٍ مُوَافِقِينَ حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ وَرَكِبْنَا فِي مَرْكَبٍ مَكِينٍ وَنَحْنُ بِاللهِ نَسْتَعِينُ وَمَازِلْنَا نَسِيرُ مِنْ جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ وَنَحْنُ نَبِيعُ وَنَشْتَرِي وَنَتَعَوَّضُ حَتَّى نَزَلْنَا ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى جَزِيرَةٍ كَثِيرَةِ الْأَشْجَارِ وَالْأَثْمَارِ خَالِيَةٍ مِنَ النَّاسِ مَا فِيهَا دَيَّارٌ وَلَا نَافِخُ نَارٍ فَرَسَا الْمَرْكَبُ عَلَيْهَا وَطَلَعَ التُّجَّارُ إِلَيْهَا يَتَفَرَّجُونَ بِرِيَاضِهَا وَأَنْهَارِهَا وَيَجْمَعُونَ مِنْ أَزْهَارِهَا وَأَثْمَارِهَا وَأَنَا أَخَذْتُ السُّفْرَةَ وَجَلَسْتُ عَلَى سَاقِيَةٍ جَارِيَةٍ بَيْنَ أَشْجَارٍ مُثْمِرَةٍ فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ وَطَابَ لِيَ الْمَنَامُ فَرَقَدْتُ مَكَانِي بَيْنَ الْأَشْجَارِ فَمَا اسْتَيْقَظْتُ إِلَّا وَالْمَرْكَبُ قَدْ أَقْلَعَ وَسَارَ وَسَافَرَ وَغَاصَ فِي الْبَحْرِ

فَقُمْتُ وَلَمْ أَجِدْ عِنْدِي أَنِيساً وَلَا جَلِيساً فَصَرَخْتُ وَلَطَمْتُ عَلَى رَأْسِي وَ انْقَطَعَ رَجَائِي مِنَ الْحَيَاةِ وَ الدُّنْيَا وَ كَادَتْ تَنْفَطِرُ مَرَارَتِي مِنَ الْحَسْرَةِ وَ بَقِيتُ كَالْمَجْنُونِ لَا أَقْدِرُ عَلَى السُّكُونِ فَصَعِدْتُ عَلَى شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ وَ نَظَرْتُ يَمِيناً وَشِمَالًا فَلَمْ أَرَ غَيْرَ الْمَاءِ وَالسَّمَاءِ وَنَظَرْتُ وَإِذَا شَيْءٌ أَبْيَضُ قَدْ لَاحَ لِي مِنَ الْبُعْدِ فَنَزَلْتُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَأَخَذْتُ السُّفْرَةَ وَ كَانَ فِيهَا زَادٌ كَثِيرٌ

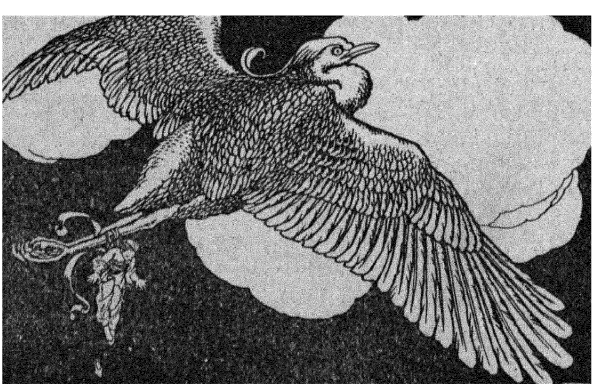

ثُمَّ إِنِّي قَصَدْتُ ذَلِكَ الْبَيَاضَ وَإِذَا هِيَ قُبَّةٌ كَبِيرَةٌ

شاهِقَةٌ مَلْساءُ نَاعِمَةٌ فَدَنَوْتُ مِنْهَا وَدُرْتُ حَوْلَهَا فَلَمْ أَجِدْ لَهَا بَابًا وَلَمْ أُطِقِ الصُّعُودَ عَلَيْهَا مِنْ مَلَاسَتِهَا وَكَانَتِ اسْتِدَارَتُهَا خَمْسِينَ خَطْوَةً فَبَقِيتُ مُتَحَيِّرًا فِي ذَلِكَ وَكَانَتِ الشَّمْسُ قَدْ قَارَبَتِ الْغُرُوبَ وَإِذَا الْجَوُّ قَدْ أَظْلَمَ وَظَهَرَتْ غَيْمَةٌ كَبِيرَةٌ فَتَأَمَّلْتُهَا وَإِذَا هِيَ طَيْرٌ فَتَذَكَّرْتُ مَا أَخْبَرَ الْبَحْرِيُّونَ عَنْ طَيْرِ الرُّخِّ الَّذِي هُوَ بِقَدْرِ الْغَيْمَةِ وَتِلْكَ الْقُبَّةُ هِيَ بَيْضَتُهُ وَإِذَا بِالطَّيْرِ قَدْ نَزَلَ عَلَيْهَا وَأَنَا فِي جَانِبِهَا فَوَقَعَ أَحَدُ مَخَالِبِهِ قُدَّامِي كَأَنَّهُ سِكَّةُ حَدِيدٍ كَبِيرَةٌ فَحَلَلْتُ عِمَامَتِي عَنْ رَأْسِي وَشَدَدْتُ نَفْسِي فِي طَرَفِ الْعِمَامَةِ وَفِي الْمِخْلَبِ شَدًّا وَثِيقًا وَقُلْتُ لَعَلَّ هَذَا الطَّيْرَ يُخْرِجُنِي مِنْ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ إِلَى مَكَانٍ عَامِرٍ

٥ـ السَّفْرَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ سَفَرَاتِ السِّنْدِبَادِ الْبَحْرِيِّ (٢)

نَكَسَ نَائِبَةٌ كَهْفٌ أُرْتَعِدُ

تَحَلَّلْتُ

فَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ أَقْلَعَ الرُّخُّ وَطَارَ فِي الْفَضَاءِ وَأَنَا مَرْبُوطٌ فِي مِخْلَبِهِ رَبْطًا وَثِيقًا وَالسُّفْرَةُ مَعِي وَلَمْ يَزَلْ مُرْتَفِعًا إِلَى الْجَوِّ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدِ احْتَكَّ بِالسَّمَاءِ ثُمَّ نَكَّسَ رَأْسَهُ وَطَلَبَ الْأَرْضَ فَلَمْ أُحِسَّ بِنَفْسِي إِلَّا وَأَنَا عَلَى وَجْهِهَا فَحَلَلْتُ الْعِمَامَةَ مِنْ مِخْلَبِهِ وَإِذَا بِهِ ضَرَبَ عَلَى حَيَّةٍ كَأَنَّهَا جَمَلٌ وَأَخَذَهَا وَطَارَ وَبَقِيتُ أَنَا فِي وَادٍ عَمِيقٍ لَا يَبْلُغُ النَّظَرُ إِلَى ارْتِفَاعِهِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى النُّزُولِ إِلَيْهِ أَوِ الصُّعُودِ مِنْهُ فَقُلْتُ إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ كُلُّ نَائِبَةٍ تَأْتِينِي أَصْعَبُ مِنَ الْأُخْرَى

ثُمَّ إِنِّى تَمَشَّيْتُ فِى ذَلِكَ ٱلْوَادِى وَإِذَا أَرْضُهُ جَمِيعُهَا مِنْ حَجَرِ ٱلْمَاسِ وَهُوَ مِنْ أَفْخَرِ ٱلْجَوَاهِرِ ٱلْغَالِيَةِ ٱلثَّمَنِ وَفِى ذَلِكَ ٱلْوَادِى حَيَّاتٌ كُلُّ وَاحِدَةٍ تَبْلُغُ ٱلْفِيلَ وَهِىَ كَثِيرَةٌ جِدًّا وَتَخْتَفِى بِٱلنَّهَارِ مِنْ هٰذَا ٱلطَّيْرِ ٱلَّذِى ذَكَرْنَاهُ وَتَسْعَى بِٱللَّيْلِ فَبَقِيتُ مُتَحَيِّرًا ذَلِكَ ٱلْيَوْمَ إِلَى أَنْ أَمْسَى ٱلْمَسَاءُ فَعَمَدْتُ إِلَى مَغَارَةٍ فِى كَهْفٍ صَغِيرٍ وَدَخَلْتُ إِلَيْهِ وَسَدَدْتُ بَابَهُ بِحَجَرٍ كَبِيرٍ وَأَخْرَجْتُ مَا بَقِىَ مَعِى مِنَ ٱلزَّادِ فِى ٱلسُّفْرَةِ وَأَكَلْتُ كِفَايَتِى وَأَنَا أَرْتَعِدُ مِنَ ٱلْخَوْفِ وَإِذَا بِٱلْحَيَّاتِ خَرَجَتْ تَسْعَى كَٱلْأَفْيَالِ وَبَعْضُهَا كَٱلْجِمَالِ وَعَايَنْتُ مَا هَالَنِى مِنْهَا حَتَّى طَلَعَ ٱلْفَجْرُ وَقَدِ ٱخْتَفَتِ ٱلْحَيَّاتُ فَخَرَجْتُ أَمْشِى فِى ٱلْوَادِى وَأَنَا فِى حَيْرَةٍ عَظِيمَةٍ

وَبَيْنَمَا أَنَا وَاقِفٌ إِذْ وَقَعَ بِجَانِبِى شِقَّةُ لَحْمٍ طَرِيٍّ فَٱلْتَفَتُّ وَإِذَا بِشِقَقٍ كَثِيرَةٍ قَدْ تَسَاقَطَتْ عَلَى ٱلْجِبَالِ فَتَذَكَّرْتُ مَا أَخْبَرَ بِهِ ٱلْمَلَّاحُونَ أَنَّهُ وَادِى ٱلْمَاسِ ٱلَّذِى

يَقْصِدُهُ ٱلتُّجَّارُ وَيُشَرِّحُونَ ٱللَّحْمَ وَيَرْمُونَهُ فِيهِ فَيَعْلَقُ بِهِ بَعْضُ ٱلْمَاسِ فَتَنْزِلُ ٱلطُّيُورُ وَتَأْخُذُهُ وَتَصْعَدُ إِلَى ٱلْجَبَلِ حَتَّى تُطْعِمَهُ أَفْرَاخَهَا فَيَأْتِي ٱلتُّجَّارُ وَيَأْخُذُونَ مَا لَصِقَ بِهِ مِنَ ٱلْأَحْجَارِ كُلُّ تَاجِرٍ مِنْ شِقَّتِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا بِهٰذِهِ ٱلْحِيلَةِ فَطَارَ قَلْبِي بِذٰلِكَ وَجَمَعْتُ مِنَ ٱلْوَادِي مَا قَدَرْتُ مِنْ أَفْخَرِ ٱلْمَاسِ ٱلْمَلِيحِ وَمَلَأْتُ ٱلسُّفْرَةَ وَأَتَيْتُ إِلَى شِقَّةٍ كَبِيرَةٍ تَجَلَّلْتُ فِيهَا وَبَعْدَ قَلِيلٍ أَتَتِ ٱلنُّسُورُ وَكُلٌّ مِنْهَا حَمَلَ شِقَّةً وَٱرْتَفَعَ بِهَا إِلَى أَعْلَى ٱلْجَبَلِ وَشِقَّتِي حَمَلَهَا نَسْرٌ كَبِيرٌ وَوَضَعَهَا فَوْقَ ٱلْجَبَلِ أَيْضًا وَإِذَا بِصَيْحَاتٍ قَدْ عَلَتْ عَلَى ٱلنُّسُورِ فَأَجْفَلَتْ وَتَرَكَتِ ٱللُّحُومَ وَطَارَتْ

٦ — اَلسَّفْرَةُ ٱلثَّانِيَةُ مِنْ سَفَرَاتِ السِّنْدِبَادِ ٱلْبَحْرِيِّ (٣)

اِرْتَعَبَ قَبْضَةُ أَعِي اَلْكَرْكَدَنُ

فَأَتَى ٱلتُّجَّارُ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى شِقَّتِهِ فَنَهَضَ صَاحِبُ شِقَّتِي لِيَأْخُذَ مَا لَصِقَ بِهَا فَوَجَدَنِي وَارْتَعَبَ مِنِّي فَقُلْتُ لَهُ لَا تَخَفْ أَنَا إِنْسَانٌ مِثْلُكَ فَصَرَخَ وَبَكَى وَقَالَ يَا خَيْبَةَ تِجَارَتِي فِيكَ فَقُلْتُ لَهُ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ أَنَا مَعِي شَيْءٌ أُعْطِيكَ مِنْ أَكْثَرَ مِمَّا حَصَلَ لِرِفَاقِكَ ثُمَّ إِنَّهُ تَقَدَّمَ وَحَلَّ ٱلشِّقَّةَ وَٱلْعِمَامَةَ وَأَخْرَجَنِي وَإِذَا بِٱلتُّجَّارِ قَدْ ٱجْتَمَعُوا إِلَيَّ وَسَأَلُونِي عَنْ حَالِي فَحَكَيْتُ لَهُمْ مَا جَرَى لِي فَتَعَجَّبُوا عَجَبًا عَظِيمًا وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى سَلَامَتِكَ

ثُمَّ مَضَوْا وَأَنَا مَعَهُمْ إِلَى مَجْمَعِ ٱلتُّجَّارِ فَأَخْرَجْتُ مِنَ ٱلسُّفْرَةِ ٱلَّتِي مَعِي وَأَعْطَيْتُ صَاحِبَ شِقَّتِي نَصِيبَهُ وَكُنْتُ قَدْ مَلَأْتُهَا مِنَ ٱلْجَوَاهِرِ ٱلثَّمِينَةِ وَنِمْتُ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ عِنْدَهُمْ وَهُمْ يَسْأَلُونَنِي عَنْ عُمْرِي وَأَنَا لَا أَعِي مِنْ فَرَحِي وَأَظُنُّ إِنِّي فِي ٱلْمَنَامِ ثُمَّ قُمْنَا فِي ٱلْغَدِ وَسِرْنَا فِي جِبَالٍ عَالِيَةٍ حَتَّى أَتَيْنَا جَزِيرَةَ ٱلرُّهَا وَفِيهَا شَجَرُ ٱلْكَافُورِ كُلُّ

شَجَرَةٍ مِنْهَا تُظِلُّ مِائَةَ رَجُلٍ فَأَكْثَرَ وَيَسْتَخْرِجُونَهُ بِأَنْ يَثْقُبُوا عَلَى الشَّجَرَةِ فَيَسِيلُ مِنْهَا مَاءُ الْكَافُورِ وَيَمْلَأُ جِرَارًا كَثِيرَةً وَبَعْدَ ذَلِكَ يَظْهَرُ قَطْرُ الْكَافُورِ كَالصَّمْغِ ثُمَّ يَبْطُلُ وَتَجِفُّ الشَّجَرَةُ

وَفِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ وَحْشٌ يُسَمَّى الْكَرْكَدَّنَ كَرَعَايَا الْبَقَرِ دُونَ الْفِيلِ وَأَكْبَرَ مِنَ الْجَامُوسِ وَمَأْكُولُهُ نَبَاتُ الْأَرْضِ وَلَهُ قَرْنٌ وَاحِدٌ فِي وَسَطِ رَأْسِهِ طُولُهُ ذِرَاعٌ وَعَرْضُهُ قَبْضَةٌ وَهَذَا الْحَيَوَانُ يَشُكُّ الْفِيلَ بِقَرْنِهِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَسِيلُ دُهْنُهُ عَلَى عَيْنَيِ الْكَرْكَدَّنِ فَيُعْمِيهِ وَيَبْقَى مُلْقًى عَلَى الْأَرْضِ فَيَأْتِي الرُّخُّ وَيَأْخُذُ الِاثْنَيْنِ فِي مَخَالِبِهِ وَيُطْعِمُهُمَا فِرَاخَهُ

ثُمَّ إِنِّي بِعْتُ مِنَ الْمَاسِ الَّذِي مَعِي وَتَعَوَّضْتُ شَيْئًا كَثِيرًا وَمَا زِلْتُ أَسِيرُ مِنْ جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ وَمِنْ بِلَادٍ إِلَى بِلَادٍ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ وَمِنْهَا إِلَى بَغْدَادَ وَدَخَلْتُ

دارى وَمَعِى مِنَ ٱلْمَالِ مَالَا يُوصَفُ وَلَا يُعَدُّ فَتَصَدَّقْتُ وَأَعْطَيْتُ ٱلْفُقَرَاءَ وَٱلْمُحْتَاجِينَ وَبَقِيتُ عَلَى هَذِهِ ٱلْحَالِ أَقْضِى ٱلْأَوْقَاتَ بِٱلْهَنَاءِ وَٱلْمَسَرَّاتِ وَنَسِيتُ مَا لَاقَيْتُ مِنَ ٱلْمَشَقَّاتِ

﴿ ٧ — ٱلْهَوَاءُ ﴾

مَلَاكٌ اِضْطَرَمَ فَوْرٌ شَفِيفٌ

يَسْتَمِدُّ يَنْفُثُ

مَاذَا يَكُونُ جَوَابُكَ إِذَا سَأَلَكَ سَائِلٌ عَنِ ٱسْمِ ٱلشَّىْءِ ٱلَّذِى يُعْتَبَرُ مِلَاكَ ٱلْحَيَاةِ لِكُلِّ كَائِنٍ حَيَوَانِىٍّ أَوْ نَبَاتِىٍّ وَإِذَا ٱسْتَزَدْتَهُ إِيضَاحًا قَالَ لَكَ إِنَّهُ أَشَدُّ لُزُومًا مِمَّا سِوَاهُ مِنْ أَسْبَابِهَا وَمُعِدَّاتِهَا وَلَوْلَاهُ مَا ٱضْطَرَمَتْ نَارٌ وَلَا ٱنْتَشَرَ صَوْتٌ وَلَا طَارَ طَائِرٌ فِى ٱلْجَوِّ وَلَا تَحَرَّكَ سَحَابٌ وَلَا تَلَوَّنَتِ ٱلسَّمَاءُ بِٱللَّوْنِ ٱلْأَزْرَقِ ٱلْجَمِيلِ ٱلَّذِى نَرَاهُ ذَلِكَ هُوَ ٱلْهَوَاءُ ٱلَّذِى لَا يَسْتَطِيعُ إِنْسَانٌ أَوْ حَيَوَانٌ أَنْ يَحْيَا بِدُونِهِ

وَالشَّاهِدُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا سُدَّ أَنْفُ حَيَوَانٍ وَفُوهُ حَتَّى لَا يَدْخُلُهُمَا الْهَوَاءُ انْقَطَعَتْ أَنْفَاسُهُ فَقَضَى مِنْ فَوْرِهِ مَعَ أَنَّنَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُمْسِكَ عَنِ الطَّعَامِ وَالْمَاءِ أَيَّامًا

وَالْهَوَاءُ جِسْمٌ لَطِيفٌ شَفِيفٌ يُحِيطُ بِالْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ وَيَعْلُو فَوْقَهَا إِلَى بُعْدٍ لَا يَقِلُّ عَنْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ مِيلًا وَهُوَ مُنْتَشِرٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ وَمَا تَظُنُّهُ مِنَ الْأَمْكِنَةِ وَالْآنِيَةِ خَلْوًا مِنَ الْهَوَاءِ إِنَّمَا هُوَ مَمْلُوءٌ بِهِ وَحَسْبُكَ دَلِيلًا عَلَى وُجُودِهِ فِي مَكَانٍ مُغْلَقٍ أَنَّكَ إِذَا حَرَّكْتَ يَدَكَ بِسُرْعَةٍ أَحْسَسْتَ بِهِ يَعْتَرِضُ حَرَكَتَهَا

وَهُوَ مُؤَلَّفٌ مِنْ عُنْصُرَيْنِ أَحَدُهُمَا يُسَمَّى الْأُكْسِجِينَ وَالْآخَرُ الْآزُتَ بِنِسْبَةِ ثَلَاثَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ الْأَوَّلِ إِلَى سَبْعَةٍ وَسَبْعِينَ مِنَ الثَّانِي فِي كُلِّ مِائَةِ جُزْءٍ مُقَدَّرَةٍ بِالْوَزْنِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَكُونُ خَالِصًا بَلْ يَمْتَزِجُ بِمَوَادَّ أُخَرَ كَالْحَامِضِ الْكَرْبُونِيِّ وَبُخَارِ الْمَاءِ وَغَيْرِهِمَا وَيَتَبَادَلُ

ٱلْحَيَوَانُ وَٱلنَّبَاتُ ٱلْهَوَاءَ بَيْنَهُمَا فِي ٱلتَّنَفُّسِ فَٱلْحَيَوَانُ يَسْتَنْشِقُهُ لِيَسْتَمِدَّ مِنْهُ ٱلْأُكْسِجِينَ ٱلَّذِي بِهِ يَنْقَى ٱلدَّمُ وَيَنْفُثُ ٱلْحَامِضَ ٱلْكَرْبُونِيَّ وَبُخَارَ ٱلْمَاءِ وَمَادَّةً حَيَوَانِيَّةً فَاسِدَةً وَيَحْصُلُ ٱلتَّنَفُّسُ فِي ٱلنَّبَاتِ بِوَاسِطَةِ أَوْرَاقِهِ فَتَسْتَمِدُّ مِنَ ٱلْهَوَاءِ ٱلْكَرْبُونَ مِنْ حَامِضِهِ ٱلْكَرْبُونِيِّ وَتُطْلِقُ ٱلْأُكْسِجِينَ بِالنَّهَارِ وَأَمَّا بِاللَّيْلِ فَيُطْلِقُ ٱلنَّبَاتُ ٱلْحَامِضَ ٱلْكَرْبُونِيَّ

﴿ ٨ — دَوْلَةُ ٱلْمَمَالِيكِ فِي مِصْرَ ﴾

بُكْفِرُ صَادَرَ تُجْبِي مُهِينٌ ٱلْعِيَالُ

إِنْ كَانَ هُنَاكَ آثَارٌ ظَاهِرَةٌ مَلَكِيَّةٌ فِي مِصْرَ وَٱلشَّامِ فَإِنَّمَا تُنْسَبُ إِلَى هٰذِهِ ٱلدَّوْلَةِ تَأَمَّلِ ٱلْمَسَاجِدَ ٱلْكُبْرَى وَمِنْهَا مَا كَانَ مُعَدًّا لِدِرَاسَةِ ٱلْعِلْمِ وَتَعَرَّفْ مَنْ بَنَاهَا تَجِدْهُ مِنْ رِجَالِ دَوْلَةِ ٱلْمَمَالِيكِ وَٱلْمَنْسُوبُ إِلَى غَيْرِهِمْ قَلِيلٌ وَلَعَلَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يُكَفِّرَ ٱللهُ عَنْهُمْ بِذٰلِكَ كَثِيرًا مِنَ

السيئات التي كانوا يرتكبونها في أحكامهم

كان الملك والأمير في هذه الدولة حرًّا في الرعية فإذا غضب لا يقوم لغضبه شيء فإن شاء قتل وإن شاء صادر فأخذ الأموال وفضح العيال وليس هناك من يقدر أن يقول له لم فعلت ولم قتلت

وإذا احتاج الملك منهم إلى شيء من النقود لسد حاجة من حاجاته فسرعان ما يصدر أمره بأنواع من المظالم فتجبى الأموال ويلاقي الناس من العذاب ما لا مثيل له حتى تربت الرعية على الخوف والرعب ورأوا أن حيلتهم الوحيدة للخلاص من الشر أحيانا إنما هي الكذب وقلما كان ينجيهم لأن أنواع العقوبات التي كانت تنصب حينئذ على بدن المنكر تخرج منه ما عنده فيعدم نفسه ويعدم ماله

وكانت المظالم التي تجبى بها الأموال تكثر

وَتَقِلُّ عَلَى حَسَبِ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْمُلُوكُ مِنَ الْعَدْلِ وَالظُّلْمِ وَخَيْرُ الْمُلُوكِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ السُّلْطَانُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُنَ فَإِنَّهُ أَبْطَلَ أَنْوَاعًا كَثِيرَةً مِنْ هَذِهِ الْمَظَالِمِ

وَقَدْ نَبَغَ فِي مِصْرَ فِي أَيَّامِهِمْ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الدِّينِ كَجَلَالِ الدِّينِ السُّيُوطِيِّ وَشَيْخِ الْإِسْلَامِ زَكَرِيَّا الْأَنْصَارِيِّ وَغَيْرِهِمَا

وَبِالْجُمْلَةِ فَسَلْطَنَةُ الْمَمَالِيكِ عَلَى مِصْرَ كَانَ شَرُّهَا أَكْثَرَ مِنْ خَيْرِهَا وَيَكْفِي الْأُمَّةَ عَارًا وَحِطَّةً أَنْ يُشْتَرَى الْمَمْلُوكُ الْيَوْمَ بِالدِّرْهَمِ ثُمَّ يَصِيرَ بَعْدَ حِينٍ مَلِكًا مُهَيْمِنًا عَلَيْهَا

(تاريخ الشيخ الخضرى)

﴿ ٩ — فى طَلَبِ الْمَعَالِى وعِزَّةِ النَّفْسِ ﴾

تَبْرَحُ أَهَابَ مُبْتَذَلٌ بُزْهَى
شَوْطٌ السِّفْلُ . دَرَجَ دَخَلٌ
يُعَوِّلُ مُعْجِزَةٌ وَجَلٌ دَارَةٌ

إِنَّ ٱلْعُلاَ حَدَّثَتْنِي وَهْيَ صَادِقَةٌ
فِيمَا تُحَدِّثُ أَنَّ ٱلْعِزَّ فِي ٱلنُّقَلِ
لَوْ أَنَّ فِي شَرَفِ ٱلْمَأْوَى بُلُوغَ مُنًى
لَمْ تَبْرَحِ ٱلشَّمْسُ يَوْمًا دَارَةَ ٱلْحَمَلِ
أَهَبْتُ بِٱلْحَظِّ لَوْ نَادَيْتُ مُسْتَمِعًا
وَٱلْحَظُّ عَنِّيَ بِٱلْجُهَّالِ فِي شُغُلِ
لَعَلَّهُ إِنْ بَدَا فَضْلِي وَنَقْصُهُمُ
لِعَيْنِهِ نَامَ عَنْهُمْ أَوْ تَنَبَّهَ لِي
أُعَلِّلُ ٱلنَّفْسَ بِٱلآمَالِ أَرْقُبُهَا
مَا أَضْيَقَ ٱلْعَيْشَ لَوْلاَ فُسْحَةُ ٱلْأَمَلِ
لَمْ أَرْضَ بِٱلْعَيْشِ وَٱلْأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ
فَكَيْفَ أَرْضَى وَقَدْ وَلَّتْ عَلَى عَجَلِ
غَالَى بِنَفْسِيَ عِرْفَانِي بِقِيمَتِهَا
فَصُنْتُهَا عَنْ رَخِيصِ ٱلْقَدْرِ مُبْتَذَلِ

وَعَادَةُ ٱلنَّصْلِ أَنْ يُزْهَى بِجَوْهَرِهِ
وَلَيْسَ يَعْمَلُ إِلَّا فِي يَدَيْ بَطَلِ

مَا كُنْتُ أُوثِرُ أَنْ يَمْتَدَّ بِي زَمَنِي
حَتَّى أَرَى دَوْلَةَ ٱلْأَوْغَادِ وَٱلسِّفَلِ

تَقَدَّمَتْنِي أُنَاسٌ كَانَ شَوْطُهُمُ
وَرَاءَ خَطْوِيَ لَوْ أَمْشِي عَلَى مَهَلِ

هَذَا جَزَاءُ ٱمْرِئٍ أَقْرَانُهُ درَجُوا
مِنْ قَبْلِهِ فَتَمَنَّى فُسْحَةَ ٱلْأَجَلِ

وَإِنْ عَلَانِيَ مَنْ دُونِي فَلَا عَجَبٌ
لِي أُسْوَةٌ بِٱنْحِطَاطِ ٱلشَّمْسِ عَنْ زُحَلِ

فَٱصْبِرْ لَهَا غَيْرَ مُحْتَالٍ وَلَا ضَجِرٍ
فِي حَادِثِ ٱلدَّهْرِ مَا يُغْنِي عَنِ ٱلْحِيَلِ

أَعْدَى عَدُوِّكَ أَدْنَى مَنْ وَثِقْتَ بِهِ
فَحَاذِرِ ٱلنَّاسَ وَٱصْحَبْهُمْ عَلَى دَخَلِ

فَإِنَّمَا رَجُلُ ٱلدُّنْيَا وَوَاحِدُهَا
مَنْ لَا يُعَوِّلُ فِي ٱلدُّنْيَا عَلَى رَجُلِ
وَحُسْنُ ظَنِّكَ بِٱلْأَيَّامِ مُعْجِزَةٌ
فَظُنَّ شَرًّا وَكُنْ مِنْهَا عَلَى وَجَلِ

(الطغرائي)

﴿ ١٠ — أَجْسَامُنَا (١) ﴾

شُبْهَةٌ عِمَادُ ٱلْجُمْجُمَةُ عِرْنِينٌ
ٱلْوَجْنَةُ

لَا شُبْهَةَ فِي أَنَّ كُلًّا مِنَّا يُحِسُّ أَنَّ بِهِ قِطَعًا صُلْبَةً يَنْبَنِي عَلَيْهَا جِسْمُهُ وَهَذِهِ ٱلْقِطَعُ ٱلصُّلْبَةُ تُكَوِّنُ مَا يُسَمَّى ٱلْهَيْكَلَ ٱلْعَظْمِيَّ وَلَا تَقِلُّ فِي عَدَدِهَا عَنْ مِائَتَيْ قِطْعَةٍ مُنْفَصِلٍ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ مُمَيَّزَةٍ فِي أَشْكَالِهَا وَأَقْدَارِهَا وَوَظِيفَتُهَا أَنْ تَكُونَ عِمَادًا لِلْأَجْزَاءِ ٱللَّحْمِيَّةِ وَأَنْ تُكْسِبَ ٱلْجِسْمَ قُوَّةً وَمَتَانَةً وَٱلْهَيْكَلُ ٱلْعَظْمِيُّ هُوَ ٱلَّذِي

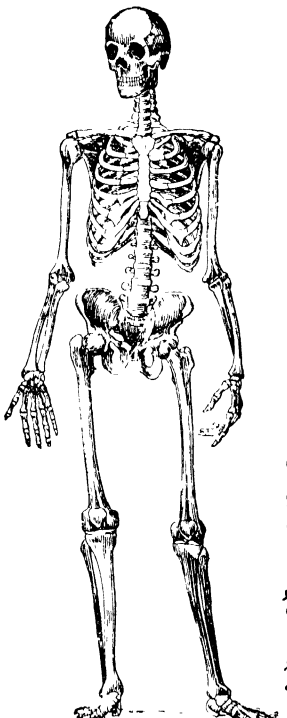

يُعَيِّنُ شَكْلَ الْجِسْمِ وَبِهِ يُمْكِنُ الْحُكْمُ عَلَى نَوْعِ الْحَيَوَانِ

وَالْأَقْسَامُ الْأَسَاسِيَّةُ لِلْهَيْكَلِ الْعَظْمِيِّ ثَلَاثَةٌ الرَّأْسُ وَالْجِذْعُ وَالْأَطْرَافُ

يَتَرَكَّبُ الرَّأْسُ مِنْ جُزْءَيْنِ الْجُمْجُمَةُ وَالْوَجْهُ فَالْجُمْجُمَةُ صُنْدُوقٌ مُجَوَّفٌ وَظِيفَتُهُ تَغْلِيفُ الدِّمَاغِ وَوِقَايَتُهُ وَهِيَ تَتَرَكَّبُ مِنْ ثَمَانِي قِطَعٍ عَظِيمَةٍ مُثَبَّتٍ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ تَثْبِيتًا مُحْكَمًا وَأَمَّا الْوَجْهُ فَيَشْمَلُ بَاقِيَ الرَّأْسِ وَعَدَدُ الْعِظَامِ فِيهِ لَا يَقِلُّ عَنْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ قِطْعَةً وَأَعْجَبُ مَا يُلَاحَظُ فِي وَضْعِ هَذِهِ الْعِظَامِ مَا كَانَ خَاصًّا بِإِحْكَامِ

وَضْعُ ٱلْعَيْنَيْنِ فِى نُقْرَتَيْنِ فِى ٱلْعِظَامِ
هُمَا ٱلْمِحْجَرَانِ وَأَعْجَبُ مِنْ هٰذَا
وَظَائِفُهُمَا مِنْ فَوْقُ بِٱلْجَبْهَةِ وَمِنْ تَحْتُ
بِعَظْمَىِ ٱلْوَجْنَتَيْنِ وَمِنْ بَيْنِهِمَا بِعِرْبِيسِ ٱلْأَنْفِ وَلَيْسَ
مِنْ عِظَامِ ٱلْوَجْهِ ٱلْأَرْبَعَةَ عَشَرَ إِلَّا عَظْمٌ وَاحِدٌ وَهُوَ
عَظْمُ ٱلْفَكِّ ٱلسُّفْلِىِّ يَتَحَرَّكُ لِفَتْحِ ٱلْفَمِ أَوْ إِغْلَاقِهِ وَيَتَّصِلُ
عَظْمُ ٱلْفَكِّ بِعَظْمِ ٱلْجُمْجُمَةِ بِمَفْصِلٍ وَفِى ٱلْفَكَّيْنِ أَسْنَانٌ
لِتَمْزِيقِ ٱلْأَغْذِيَةِ وَمَضْغِهَا وَهِىَ فِى ٱلْأَطْفَالِ عِشْرُونَ وَتُسَمَّى
أَسْنَانَ ٱللَّبَنِ أَوْ أَسْنَانَ ٱلْإِسْنَانِ ٱلْأَوَّلِ وَفِى ٱلْكِبَارِ
ٱثْنَتَانِ وَثَلَاثُونَ وَتُسَمَّى ٱلْأَسْنَانَ ٱلْمُعَوَّضَةَ أَوْ أَسْنَانَ
ٱلْإِسْنَانِ ٱلثَّانِى وَتَبْقَى هٰذِهِ مَعَ ٱلْإِنْسَانِ إِلَى مَا شَاءَ ٱللّٰهُ

﴿ ١١ — أَجْسَامُنَا (٢) ﴾

ٱلْمَحَالَةُ ٱلْفِقْرِىُّ ٱلْقَصُّ ٱلْحَوْضُ غُضْرُوفِيَّةٌ
ٱلْعَضَلِيَّةُ ٱلْعَجُزِيَّةُ ٱلْحَرْقَفَةُ ٱلْقَطَنِيَّةُ

جِذْعُ ٱلْإِنْسَانِ هُوَ ذَلِكَ ٱلْجُزْءُ مِنْ جِسْمِهِ ٱلَّذِي يَبْقَى إِذَا فُصِلَتْ مِنْهُ ٱلرَّأْسُ وَٱلْأَطْرَافُ وَيَتَكَوَّنُ مِنْ جُزْءٍ أَصْلِيٍّ هُوَ ٱلْمِحَالَةُ أَوِ ٱلْعَمُودُ ٱلْفِقْرِيُّ وَمِنْ أَجْزَاءٍ فَرْعِيَّةٍ هِيَ ٱلْقَفَصُ وَٱلْأَضْلَاعُ وَٱلْحَوْضُ وَيَمْتَدُّ ٱلْعَمُودُ ٱلْفِقْرِيُّ مِنْ أَسْفَلِ ٱلرَّأْسِ وَٱلْعُنُقِ إِلَى أَسْفَلِ ٱلطَّرَفِ ٱلْخَلْفِيِّ مِنَ ٱلْجِذْعِ وَيَتَكَوَّنُ مِنْ عَدَدٍ

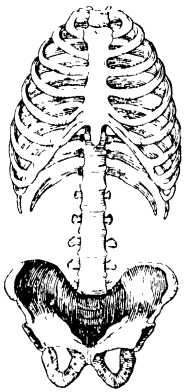

كَبِيرٍ مِنْ عِظَامٍ صَغِيرَةٍ تُسَمَّى ٱلْفِقَرَ يَتَّصِلُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَبَيْنَ كُلِّ فِقْرَةٍ وَأُخْرَى طَبَقَةٌ غُضْرُوفِيَّةٌ تُشَابِهُ عَمَلَ خُفِّ ٱلْبَعِيرِ لِتَخْفِيفِ ٱصْطِدَامِ عِظَامِ ٱلْفِقَرِ عِنْدَ ٱلْحَرَكَةِ وَفِقَرَاتُ ٱلْإِنْسَانِ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَبْعٌ عُنُقِيَّةٌ تَحْمِلُ ٱلرَّأْسَ وَيَلِي هَذِهِ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ فِقْرَةً ظَهْرِيَّةً تَحْمِلُ كُلٌّ مِنْهَا ضِلْعَيْنِ وَاحِدًا مِنْ كُلِّ جَنْبٍ وَهَذِهِ ٱلْأَضْلَاعُ وَعَدَدُهَا أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ هِيَ ٱلَّتِي تُكَوِّنُ ٱلْقَفَصَ ٱلْعَظْمِيَّ ٱلَّذِي نُسَمِّيهِ ٱلصَّدْرَ

وَمِنْ هٰذِهِ ٱلْأَضْلَاعِ سَبْعَةُ أَزْوَاجٍ تَنْضَمُّ إِلَى ٱلْأَمَامِ بِعَظْمٍ وَاحِدٍ يُسَمَّى ٱلْقَصَّ وَأَمَّا ٱلْخَمْسَةُ ٱلْبَاقِيَةُ فَلَا تَمْتَدُّ إِلَى هٰذَا ٱلْعَظْمِ

وَمِنَ ٱلْغَرِيبِ أَنَّ ٱلْفِقَرَاتِ فِي ٱلْأَطْفَالِ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ وَفِي ٱلْكِبَارِ سِتٌّ وَعِشْرُونَ وَٱلسَّبَبُ فِي ذٰلِكَ أَنَّ ٱلْفِقَرَاتِ ٱلْأَرْبَعَ ٱلسُّفْلَى وَتُسَمَّى ٱلْعُصْعُصِيَّةَ تَلْتَحِمُ وَتُكَوِّنُ عَظْمًا وَاحِدًا يُقَابِلُ ٱلذَّيْلَ فِي ٱلْحَيَوَانِ ٱلْأَعْجَمِ وَتَلْتَحِمُ أَيْضًا ٱلْخَمْسُ ٱلْفِقَرَاتُ ٱلَّتِي تَلِيهَا مِنْ فَوْقُ وَتُسَمَّى ٱلْفِقَرَاتِ ٱلْعَجُزِيَّةَ فَتُكَوِّنُ عَظْمًا وَاحِدًا يُسَمَّى ٱلْعَجُزَ وَفَوْقَ ٱلْعَجُزِ خَمْسُ فِقَرَاتٍ تُسَمَّى ٱلْفِقَرَاتِ ٱلْقَطَنِيَّةَ وَأَمَّا ٱلْحَوْضُ فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ ٱلدَّائِرَةِ ٱلَّتِي تَتَكَوَّنُ بِٱلْتِحَامِ عَظْمِ ٱلْحَرْقَفَةِ بِعَظْمِ ٱلْعَجُزِ أَسْفَلَ ٱلْعَمُودِ ٱلْفِقْرِيِّ

وَٱلْأَطْرَافُ أَرْبَعَةُ ٱثْنَانِ عُلْوِيَّانِ وَٱثْنَانِ سُفْلِيَّانِ وَيَتَكَوَّنُ كُلُّ طَرَفٍ مِنَ ٱلطَّرَفَيْنِ ٱلْعُلْوِيَّيْنِ مِنْ ذِرَاعٍ

وساعدٍ ويدٍ ويتكوّنُ كلٌّ منَ الطرفينِ السفليينِ من ثلاثةِ أجزاءٍ وهيَ الفخذُ والساقُ والقدمُ

﴿ ١٢ — التاريخُ (١) ﴾

حضارةٌ أقاصيص الامتهانُ تدوينٌ
منسّقةٌ الرحّالةُ رقاعٌ الدائعْ

كانَ التاريخُ في أوّلِ حضارةِ الدنيا حكاياتٍ وأقاصيص يتناقلها الناسُ جيلاً بعدَ جيلٍ ويلبسونها منَ الزخرفِ والغرابةِ ثوباً يجعلُ جلّها مستحيلاً لا يلقى إلاّ التكذيبَ والامتهانَ لأنّ النقلَ باللسانِ عرضةٌ للتغييرِ والتبديلِ حتّى إذا ما ابتدعتِ الكتابةُ سارعَ الناسُ إلى تدوينِ أعمالهم إنْ كانوا عظاماً أو تدوينِ الحوادثِ العظيمةِ إذا تركتْ أثرًا في نفوسهم

وأوّلُ منْ وضعَ علمَ التاريخِ غيرُ معروفٍ ولكنّ قدماءَ المصريينَ كانوا أكثرَ الناسِ ميلاً إلى تدوينِ

عاداتهم وصنائعهم وحوادثهم بالكتابة التصويرية تارة بالنقش على الأحجار كما يرى الآن في معابدهم وآثار أبنيتهم وطورا على رقاع البردي المودعة في كثير من المتاحف وأول كتاب مقدس دونت فيه الحوادث والوقائع التاريخية بطريقة منسقة هو التوراة ويقال إنها كتبت في القرن الخامس عشر قبل الميلاد وفي القرن العاشر قبل الميلاد نظم هوميروس الشاعر اليوناني الشهير شعره القصصي الذي ضمنه تاريخ اليونان القديم وانتصارهم على أمم الأرض المعروفة في ذلك الزمان وما أتاه أبطال اليونان من مجيد الأعمال التي أكسبت اليونانيين عطف أوربا واحترامها وأول من كتب التاريخ على الطريقة العلمية هو هيرودتس الرحالة الذائع الصيت الملقب بأبي التاريخ وقد ضمن كتابه تاريخ الأمم القديمة إلى عهده في القرن الخامس

قَبْلَ ٱلْمِيلَادِ

﴿ ١٣ — ٱلتَّارِيخُ (٢) ﴾

عُمْدَةٌ كَهَنَةٌ عِبْرَانِيٌّ ٱسْتُقْصِيَ

زُهَاءَ حَذَا

فِي ٱلْقَرْنِ ٱلرَّابِعِ قَبْلَ ٱلْمِيلَادِ ظَهَرَ مُؤَرِّخٌ ٱسْمُهُ تِسْيَاسُ وَهُوَ طَبِيبٌ فَارِسِيٌّ كَتَبَ كِتَابًا فِي تَارِيخِ ٱلْفُرْسِ ٱلْقَدِيمِ

وَهُومِيرُسُ وَهِيرُودُتُسُ وَتِسْيَاسُ هُمْ عُمْدَةُ ٱلتَّارِيخِ ٱلْقَدِيمِ وَإِلَيْهِمُ ٱلْمَرْجِعُ فِي تَحْقِيقِ ٱلْحَوَادِثِ ٱلتَّارِيخِيَّةِ ٱلْقَدِيمَةِ فِيمَا عَدَا ٱلتَّارِيخَ ٱلْمُقَدَّسَ وَقَدْ حَذَا حَذْوَ هَؤُلَاءِ كَثِيرُونَ مِمَّنْ جَاءُوا بَعْدَهُمْ وَفِي جُمْلَتِهِمْ سِيَانْتِسُوسُ أَحَدُ كَهَنَةِ ٱلْمِصْرِيِّينَ فِي ٱلْقَرْنِ ٱلثَّالِثِ قَبْلَ ٱلْمِيلَادِ وَكَتَبَ تَارِيخًا عَنْ مِصْرَ لَمْ يَصِلْنَا مِنْهُ إِلَّا مَا نَقَلَهُ مُؤَرِّخٌ عِبْرَانِيٌّ عَنْهُ وَظَهَرَ بَعْدَ هَذَا مِيثُودُرُسُ ٱلصِّقِلِّيُّ نَحْوَ زَمَنِ ٱلْمِيلَادِ

****

وَشَاعَ عِلْمُ ٱلتَّارِيخِ فِي سَائِرِ ٱلْأَقْطَارِ وَأَقْبَلَ ٱلنَّاسُ عَلَى قِرَاءَتِهِ فَنَشَأَ ٱلْمُؤَرِّخُونَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ مِنَ ٱلْأُمَمِ ٱلْمُتَحَضِّرَةِ وَأَمَّا مَا جَاءَ بِهِ ٱلْقُرْآنُ ٱلْحَكِيمُ مِنَ ٱلْقَصَصِ وَٱلْأَخْبَارِ فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا آيَاتٍ أَطْلَعَ ٱللهُ عَلَيْهَا عِبَادَهُ لِتَكُونَ لَهُمْ هُدًى وَرَحْمَةً وَعِبْرَةً وَذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ

وَقَدْ نَبَغَ فِي ٱلتَّارِيخِ مِنَ ٱلْعَرَبِ كَثِيرُونَ ٱسْتُقْصِيَ مَا أَلَّفُوهُ بِاللُّغَةِ ٱلْعَرَبِيَّةِ فَبَلَغَ زُهَاءَ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ كِتَابٍ مِنْهَا مَا هُوَ خَاصٌّ بِنَحْوِ بَلْدَةٍ أَوْ فَرْدٍ مِنَ ٱلنَّاسِ وَمِنْهَا مَا هُوَ عَامٌّ وَأَشْهَرُهَا تَارِيخُ ٱلْمَسْعُودِيِّ وَتَارِيخُ ٱبْنِ جَرِيرٍ ٱلطَّبَرِيِّ وَٱبْنِ خَلْدُونٍ وَٱبْنِ خِلِّكَانَ وَٱبْنِ ٱلْأَثِيرِ وَأَبِي ٱلْفِدَاءِ وَٱلْمَقْرِيزِيِّ وَغَيْرِهِمْ وَهَؤُلَاءِ ثِقَاتُ تَارِيخِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَعُمْدَةُ مُؤَرِّخِيهِمْ

« ١٤ — ٱلِاعْتِرَافُ بِٱلْجَمِيلِ »

بِطَانَةٌ ٱلْخَوَارِجُ مُوَلٍّ فِلَادَةٌ

صِلَةٌ

كَانَ ٱلْخَلِيفَةُ ٱلْمَنْصُورُ يَتَطَلَّعُ إِلَى ٱلْإِحَاطَةِ بِأُمُورِ ٱلنَّاسِ عُمُوماً وَإِلَى مَعْرِفَةِ أَحْوَالِ بَنِي أُمَيَّةَ خُصُوصاً فَبَلَغَهُ أَنَّ مِنْ مَشَايِخِ أَهْلِ ٱلشَّامِ شَيْخاً مَعْرُوفاً وَكَانَ بِطَانَةً لِهِشَامِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ٱلْمَنْصُورُ وَأَحْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَأَلَهُ عَنْ تَدْبِيرِ هِشَامٍ فِي حُرُوبِهِ مَعَ ٱلْخَوَارِجِ فَوَصَفَ لَهُ ٱلشَّيْخُ مَادَبَّرَ وَقَالَ « فَعَلَ رَحِمَهُ ٱللهُ كَذَا وَكَذَا » فَقَالَ لَهُ ٱلْمَنْصُورُ « قُمْ عَنِّي تَطَأُ بِسَاطِي وَتَتَرَحَّمُ عَلَى عَدُوِّي » فَقَالَ ٱلرَّجُلُ وَهُوَ مُوَلٍّ يُرِيدُ ٱلْخُرُوجَ « إِنَّ نِعْمَةَ عَدُوِّكَ لَقِلَادَةٌ فِي عُنُقِي لَا يَنْزِعُهَا إِلَّا غَاسِلٌ » فَلَمَّا سَمِعَهُ ٱلْمَنْصُورُ قَالَ « رُدُّوهُ » فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ « يَاأَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لُؤْماً مَنْ لَمْ يَجْعَلْ دُعَاءَهُ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ وَثَنَاءَهُ عَلَيْهِ وَحَمْدَهُ لِمَعْرُوفِهِ مِنْدَهُ وَفَاءً لَهُ وَلَوْ أَمْكَنَنِي ٱلْقَدَرُ وَأَقْدَرَنِي ٱلْقَضَاءُ عَلَى

ٱلْوَفَاءِ لِهِشَامٍ بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ لَوَجَدَنِي أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَافِيًا لَهُ بِهِ » فَقَالَ لَهُ ٱلْمَنْصُورُ « ٱرْجِعْ يَاشَيْخُ إِلَى تَمَامِ حَدِيثِكَ » ثُمَّ أَقْبَلَ ٱلْمَنْصُورُ عَلَى حَدِيثِهِ إِلَى أَنْ فَرَغَ فَدَعَا ٱلْمَنْصُورُ بِمَالٍ وَكِسْوَةٍ وَقَالَ « خُذْ هَذَا صِلَةً مِنَّا لَكَ » فَأَخَذَ ذَلِكَ وَقَالَ « وَٱللهِ يَاأَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَابِي مِنْ حَاجَةٍ وَلَقَدْ مَاتَ عَنِّي مَنْ كُنْتُ فِي ذِكْرِهِ فَمَا أَحْوَجَنِي إِلَى وُقُوفٍ عَلَى بَابِ أَحَدٍ بَعْدَهُ وَلَوْلَا جَلَالُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلُزُومُ طَاعَتِهِ وَإِيثَارُ أَمْرِهِ لَمَا لَبِسْتُ نِعْمَةَ أَحَدٍ بَعْدَهُ » فَقَالَ ٱلْمَنْصُورُ « لِلهِ أَنْتَ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِقَوْمِهِ غَيْرُكَ لَكُنْتَ أَبْقَيْتَ لَهُمْ ذِكْرًا مُخَلَّدًا وَمَجْدًا بَاقِيًا بِوَفَائِكَ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ »

(العقد الفريد للملك السعيد)

﴿ ١٥ — (١) يَعْسُوبُ ٱلنَّحْلِ ﴾

بُنْيَةٌ مُدْمَجٌ مُكْتَنِفَاتٌ حُمَةٌ

اَلرَّخاوَةُ أَتَنَسَّمُ أَزْجُرُ

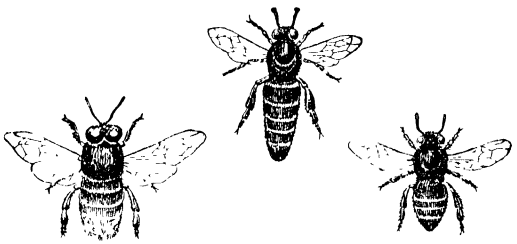

إِنَّ اَللّٰهَ تَعالَى جَعَلَ بُنْيَةَ جَسَدِى ثَلاثَةَ مَفاصِلَ مَخْزُوزَةٍ فَجَعَلَ وَسَطَ جَسَدِى مُرَبَّعًا مُكَعَّبًا وَمُؤَخَّرَ جَسَدِى مُدْمَجًا مَخْرُوطًا وَرَأْسِى مُدَوَّرًا مَبْسُوطًا وَرَكَّبَ فِى وَسَطِى أَرْبَعَ أَرْجُلٍ وَيَدَيْنِ مُتَناسِباتِ اَلْمَقادِيرِ كَأَضْلاعِ اَلشَّكْلِ اَلْمُسَدَّسِ فِى اَلدّائِرَةِ لِأَسْتَعِينَ بِها عَلَى اَلْقِيامِ وَاَلْقُعُودِ وَاَلْوُقُوعِ وَاَلنُّهُوضِ وَأُقَدِّرَ بِناءَ أَساسِ مَنْزِلِى وَبُيُوتِى عَلَى أَشْكالِ مُسَدَّساتٍ مُكْتَنِفاتٍ كَىْ لا يَدْخُلَها اَلْهَواءُ فَيَضُرَّ بِأَوْلادِى أَوْ يُفْسِدَ شَرابِى اَلَّذِى هُوَ قُوتِى وَذَخائِرِى وَبِهٰذِهِ اَلْأَرْبَعِ اَلْأَرْجُلِ وَاَلْيَدَيْنِ أَجْمَعُ مِنْ وَرَقِ اَلْأَشْجارِ وَاَلزَّهْرِ وَاَلثِّمارِ اَلرُّطُوباتِ اَلدُّهْنِيَّةَ

وَجَعَلَ عَلَى كَتِفَيَّ أَرْبَعَةَ أَجْنِحَةٍ خَفِيفَةٍ حَرِيرِيَّةٍ لِأَسِيحَ فِي الطَّيَرَانِ فِي جَوِّ السَّمَاءِ وَجَعَلَ مُؤَخَّرَ بَدَنِي مَخْرُوطَ الشَّكْلِ مُجَوَّفًا مُدَمَّجًا مَمْلُوءًا هَوَاءً لِيَكُونَ مُوَازِيًا لِثِقَلِ رَأْسِي فِي الطَّيَرَانِ وَجَعَلَ لِي حُمَةً حَادَّةً كَأَنَّهَا شَوْكَةٌ وَجَعَلَهَا سِلَاحًا لِي لِأُخَوِّفَ بِهَا أَعْدَائِي وَأَزْجُرَ بِهَا مَنْ يَتَعَرَّضُ لِي أَوْ يُؤْذِينِي وَجَعَلَ رَقَبَتِي دَقِيقَةً لِيَسْهُلَ بِهَا تَحْرِيكُ رَأْسِي يَمْنَةً وَيَسْرَةً وَجَعَلَ رَأْسِي مُدَوَّرًا عَرِيضًا وَفِي جَنْبَيْهِ عَيْنَيْنِ بَرَّاقَتَيْنِ كَأَنَّهُمَا مِرْآتَانِ مَجْلُوَّتَانِ وَجَعَلَهُمَا آلَةً لِي لِإِدْرَاكِ الْمَرْئِيَّاتِ وَالْمُبْصَرَاتِ مِنَ الْأَلْوَانِ وَالْأَشْكَالِ فِي الْأَنْوَارِ وَالظُّلُمَاتِ

وَأَنْبَتَ عَلَى رَأْسِي شِبْهَ قَرْنَيْنِ لَطِيفَيْنِ لَيِّنَيْنِ وَجَعَلَهُمَا آلَةً لِي لِأُحِسَّ بِهِمَا الْمَلْمُوسَاتِ فَأُمَيِّزَ اللَّيُونَةَ مِنَ الْخُشُونَةِ وَالصَّلَابَةَ مِنَ الرَّخَاوَةِ وَالرُّطُوبَةَ مِنَ الْيُبُوسَةِ وَفَتَحَ لِي مَنْخَرَيْنِ أَتَنَسَّمُ بِهِمَا الرَّوَائِحَ الطَّيِّبَاتِ

(رسائل اخوان الصفا)

﴿ ١٦ — يَعْسُوبُ ٱلنَّحْلِ (٢) ﴾

مِشْفَرٌ ضُرُوعٌ سَائِغٌ ٱلدِّحَالُ
يَسْتَأْثِرُ ٱلْمُضْطَرُّ وَهْبٌ ٱلدُّفُوفُ
ٱلدِّنِسُ

وَجَعَلَ لِي فَمًا مَفْتُوحًا فِيهِ قُوَّةٌ ذَائِقَةٌ أَتَعَرَّفُ بِهَا ٱلطُّعُومَ ٱلطَّيِّبَاتِ مِنَ ٱلْمَطْعُومَاتِ ٱلْمَأْكُولَاتِ وَٱلْمَشْرُوبَاتِ وَجَعَلَ لِي مِشْفَرَيْنِ حَادَّيْنِ أَجْمَعُ بِهِمَا مِنْ ثَمَرِ ٱلْأَشْجَارِ وَمِنْ وَرَقِ ٱلنَّبَاتِ وَٱلْأَزْهَارِ وَأَنْوَارِ ٱلْأَشْجَارِ رُطُوبَاتٍ لَطِيفَةً وَجَعَلَ فِي جَوْفِنَا قُوَّةً جَاذِبَةً وَمَاسِكَةً وَهَاضِمَةً طَابِخَةً وَمُنْضِجَةً تُصَيِّرُ تِلْكَ ٱلرُّطُوبَاتِ عَسَلًا حُلْوًا لَذِيذًا شَرَابًا صَافِيًا غِذَاءً لِي وَلِأَوْلَادِي وَذُخْرًا وَعَوْنًا لِشَهْوَتِنَا كَمَا جَعَلَ فِي ضُرُوعِ ٱلْأَنْعَامِ قُوَّةً هَاضِمَةً تُصَيِّرُ ٱلدَّمَ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ

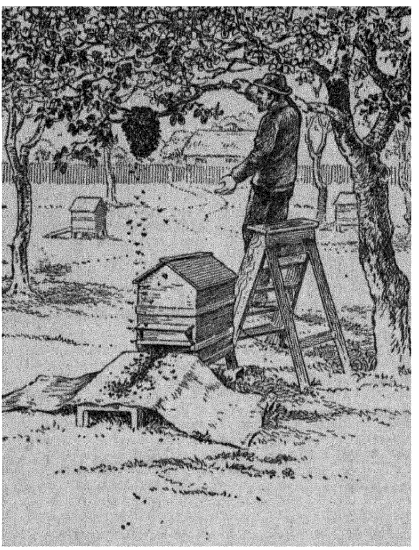

وَلِي جُنُودٌ وَأَعْوَانٌ وَرَعِيَّةٌ آوِي بِهِمْ فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ وَالتِّلَالِ وَبَيْنَ الْأَشْجَارِ وَالدِّحَالِ وَمِنَّا مَنْ يُجَاوِرُ بَنِي آدَمَ فِي مَنَازِلِهِمْ وَدِيَارِهِمْ فَأَمَّا مَنْ بَعُدَ مِنَّا عَنْهُمْ فَسَلِمَ عَلَى الْأَمْرِ الْأَكْثَرِ وَلَكِنْ رُبَّمَا يَجِيئُونَ إِلَيْنَا فِي طَلَبِنَا وَيَتَعَرَّضُونَ لَنَا بِالْأَذِيَّةِ فَإِذَا ظَفِرُوا بِنَا خَرَّبُوا مَنَازِلَنَا وَهَدَّمُوا بُيُوتَنَا وَلَمْ يُبَالُوا أَنْ يَقْتُلُوا أَوْلَادَنَا وَيَأْخُذُوا

مكاسبنا وذخائرنا ويتقاسموها ويستأثروا بها دوننا ونحن نصبر صبر المضطر تارة كرهاً وتارة رهباً وتسليماً إن عصينا وهربنا وتباعدنا جاءوا خلفنا يطلبون الصلح ويرضوننا بالهدايا من العطر وبألوان من الحيل من أصوات الطبول والدفوف والزمور والهدايا المزخرفة من الديس والتمر فنصالحهم لما في طباعنا من الخير وما في صدورنا من السلامة وقلة الحقد والحمية

(رسائل اخوان الصفا)

﴿ ١٧ الجامع الأموي بدمشق (١) ﴾

احتفال الفسيفساء زرع شمسات
سارية محاريب العشايا مرصع
جصية بهج

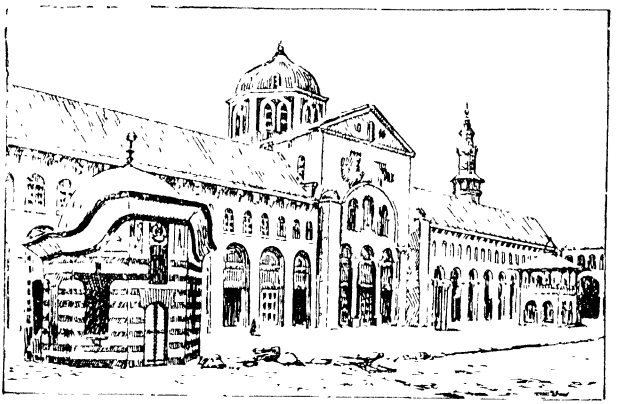

اَلجامعُ ٱلأُموىُّ هُوَ أَعظَمُ مَساجِدِ الدُّنيا احتفالاً وَأَتقنُها صِناعةً وَأَبدَعُها حُسناً وبهجةً وكمالاً ولا يُعلَمُ لهُ نظيرٌ ولا يُوجدُ لهُ شبيهٌ وكانَ ٱلَّذى تَولَّى بناءَهُ وإتقانَهُ أَميرَ ٱلمُؤمنينَ ٱلوَليدَ بنَ عبدِ ٱلمَلكِ بنِ مَروان ووَجَّهَ إلى مَلكِ ٱلرُّومِ بٱلقُسطَنطينيَّةِ يأمُرُهُ أَن يَبعَثَ لهُ ٱلصُّنَّاعَ فبَعَثَ إليهِ ٱثنَىْ عشرَ أَلفَ صانعٍ وكانَ مَوضعُ ٱلمَسجدِ كَنيسةً قَديمةً لِلرُّومِ وقَدْ زُيِّنَ هَـذا ٱلمَسجدُ بِفُصُوصِ ٱلذَّهبِ ٱلمَعرُوفَةِ بٱلفُسَيفِساءِ تُخالِطُها أَنواعُ

ٱلْأَصْبَغَةِ ٱلْغَرِيبَةِ ٱلْحُسْنِ وَذَرْعُ ٱلْمَسْجِدِ فِى ٱلطُّولِ مِنَ ٱلشَّرْقِ إِلَى ٱلْغَرْبِ مِائَتَا خُطْوَةٍ وَهِىَ ثَمَانُمِائَةِ ذِرَاعٍ وَعَرْضُهُ مِنَ ٱلْقِبْلَةِ إِلَى ٱلْجَوْفِ مِائَةٌ وَخَمْسٌ وَثَلَاثُونَ خُطْوَةً وَهِىَ مِائَتَا ذِرَاعٍ وَعَدَدُ شَمَسَاتِ ٱلزُّجَاجِ ٱلْمُلَوَّنَةِ ٱلَّتِى فِيهِ أَرْبَعٌ وَسَبْعُونَ وَبَلَاطَاتُهُ ثَلَاثٌ مُسْتَطِيلَةٌ مِنْ شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ سَعَةُ كُلِّ بَلَاطَةٍ مِنْهَا ثَمَانِى عَشَرَةَ خُطْوَةً وَقَدْ قَامَتْ عَلَى أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ سَارِيَةً وَثَمَانِى أَرْجُلٍ جِصِّيَّةٍ تَتَخَلَّلُهَا وَسِتُّ أَرْجُلٍ مُرَخَّمَةٍ مُرَصَّعَةٍ بِٱلرُّخَامِ ٱلْمُلَوَّنِ قَدْ صُوِّرَ فِيهَا أَشْكَالُ مَحَارِيبَ وَسِوَاهَا وَهِىَ تُقِلُّ قُبَّةَ ٱلرَّصَاصِ ٱلَّتِى أَمَامَ ٱلْمِحْرَابِ ٱلْمُسَمَّاةَ بِقُبَّةِ ٱلنَّسْرِ وَهِىَ مِنْ أَعْجَبِ مَبَانِى ٱلدُّنْيَا وَسَعَةُ ٱلصَّحْنِ مِائَةُ ذِرَاعٍ وَهُوَ مِنْ أَجْمَلِ ٱلْمَنَاظِرِ وَأَتَمِّهَا صُنْعًا وَبِهِ يَجْتَمِعُ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ بِٱلْعَشَايَا فَمِنْ قَارِئٍ وَمُحَدِّثٍ وَذَاهِبٍ وَيَكُونُ ٱنْصِرَافُهُمْ بَعْدَ ٱلْعِشَاءِ وَفِى هَذَا ٱلصَّحْنِ ثَلَاثٌ مِنَ ٱلْقِبَابِ أَكْبَرُهَا فِى

قَرْبِهِ وَتُسَمَّى قُبَّةَ عَائِشَةَ أُمِّ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْقُبَّةُ ٱلثَّانِيَةُ فِي ٱلشَّرْقِ وَهِيَ أَصْغَرُ مِنْهَا وَتُسَمَّى قُبَّةَ زَيْنِ ٱلْعَابِدِينَ وَٱلثَّالِثَةُ فِي ٱلْوَسَطِ وَهِيَ صَغِيرَةٌ مُثَمَّنَةٌ مِنْ رُخَامٍ عَجِيبِ مُحْكَمِ ٱلِٱلْتِصَاقِ وَتَحْتَهَا شُبَّاكُ حَدِيدٍ فِي وَسَطِهِ أُنْبُوبُ نُحَاسٍ يَمُجُّ ٱلْمَاءَ إِلَى عُلْوٍ فَيَرْتَفِعُ ثُمَّ يَنْثَنِي كَأَنَّهُ قَضِيبُ لُجَيْنٍ وَهُمْ يُسَمُّونَهُ قَفْصَ ٱلْمَاءِ وَيَسْتَحْسِنُ ٱلنَّاسُ وَضْعَ أَفْوَاهِهِمْ فِيهِ لِلشُّرْبِ

(ابن بطوطة)

﴿ ١٨ – اَلْجَامِعُ ٱلْأُمَوِيُّ بِدِمَشْقَ (٢) ﴾

يُفْضِي ٱلْمَقْصُورَةُ صَوَامِعُ صِهْرِيجُ

تَابُوتٌ مُعْلَمٌ إِثْرٌ

هَذَا ٱلْمَسْجِدُ شَهِيرُ ٱلْفَضْلِ وَيُقَالُ إِنَّ ٱلْجِدَارَ ٱلْقِبْلِيَّ مِنْهُ وَضَعَهُ نَبِيُّ ٱللهِ هُودٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَإِنَّ قَبْرَهُ بِهِ وَيُرَى بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ ٱلْأَحْقَافُ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ « هَذَا قَبْرُ

هُودِ بْنِ عَامِرٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَفِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الصَّحْنِ بَابٌ يُفْضِي إِلَى الْمَسْجِدِ بَدِيعُ الْوَضْعِ يُسَمَّى مَشْهَدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَيُقَابِلُهُ مِنَ الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ حَيْثُ يَلْتَقِي الْبَلَاطَانِ الْغَرْبِيُّ وَالْجَوْفِيُّ مَوْضِعٌ يُقَالُ إِنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا سَمِعَتِ الْحَدِيثَ هُنَاكَ وَفِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ الْمَقْصُورَةُ الْعُظْمَى الَّتِي يَؤُمُّ فِيهَا إِمَامُ الشَّافِعِيَّةِ وَفِي الرُّكْنِ الشَّرْقِيِّ مِنْهَا إِزَاءَ الْمِحْرَابِ خِزَانَةٌ كَبِيرَةٌ فِيهَا الْمُصْحَفُ الْكَرِيمُ الَّذِي وَجَّهَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى الشَّامِ وَتُفْتَحُ تِلْكَ الْخِزَانَةُ كُلَّ يَوْمِ جُمُعَةٍ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَيَزْدَحِمُ النَّاسُ عَلَى لَثْمِ ذَلِكَ الْمُصْحَفِ الْكَرِيمِ وَهُنَاكَ يُحَلِّفُ النَّاسُ غُرَمَاءَهُمْ وَمَنِ ادَّعَوْا عَلَيْهِ شَيْئًا وَعَنْ يَسَارِ الْمَقْصُورَةِ مِحْرَابُ الصَّحَابَةِ وَيَذْكُرُ أَهْلُ التَّارِيخِ أَنَّهُ أَوَّلُ مِحْرَابٍ وُضِعَ فِي الْإِسْلَامِ وَعَنْ يَمِينِ الْمَقْصُورَةِ مِحْرَابُ الْحَنَفِيَّةِ

نَحْوُ مِائَةِ بَيْتٍ تَجْرِى فِيهَا ٱلْمِيَاهُ ٱلْكَثِيرَةُ

وَمِنْ فَضَائِلِ هَذَا ٱلْمَسْجِدِ أَنَّهُ لَايَخْلُو عَنْ قِرَاءَةِ ٱلْقُرْآنِ وَٱلصَّلَاةِ إِلَّا قَلِيلاً مِنَ ٱلزَّمَانِ وَٱلنَّاسُ يَجْتَمِعُونَ بِهِ كُلَّ يَوْمٍ إِثْرَ صَلَاةِ ٱلصُّبْحِ فَيَقْرَءُونَ شَيْئًا مِنَ ٱلْقُرْآنِ وَبَعْدَ صَلَاةِ ٱلْعَصْرِ لِقِرَاءَةِ ٱلْكَوْثَرِيَّةِ يَقْرَءُونَ فِيهَا مِنْ سُورَةِ ٱلْكَوْثَرِ إِلَى آخِرِ ٱلْقُرْآنِ وَلِلْمُجْتَمِعِينَ عَلَى هَذِهِ ٱلْقِرَاءَةِ مُرَتَّبَاتٌ تَجْرِى لَهُمْ وَهُمْ نَحْوُ سِتِّمِائَةِ إِنْسَانٍ وَفِى هَذَا ٱلْمَسْجِدِ جَمَاعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ ٱلْمُجَاوِرِينَ لَايَخْرُجُونَ مِنْهُ وَأَهْلُ ٱلْبَلَدِ يُعِينُونَهُمْ بِٱلْمَطَاعِمِ وَٱلْمَلَابِسِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْأَلُوهُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ

(ابن بطوطة)

﴿ ١٩ — سَيِّدُنَا نُوحٌ ﴾

تَبْتَئِسُ ٱلتَّنُّورُ يَعْصِمُ غِيضَ ٱلْجُودِىُّ

« وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلاَ تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ

فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ٱبْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَاءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ ٱلْحَاكِمِينَ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ قِيلَ يَا نُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ

(القرآن الكريم)

﴿ ٢٠ — اَلْكَهْرُبَاءُ ﴾

اَلْعَرْكُ كِمْيَاوِيَّةٌ إِجْتِيَازٌ اَلنَّائِيَةُ
غِمَارٌ بَرْزَخٌ اَلْجَارِفُ اَلْعَقَبَاتُ
اَلْمَطَاطُ

مِنْ جُمْلَةِ اَلْقُوَى اَلْعَظِيمَةِ اَلَّتِي اُسْتَخْدَمَهَا اَلْإِنْسَانُ فِي قَضَاءِ حَاجَاتِهِ وَمَآرِبِهِ رُوحٌ مِنَ اَلْأَرْوَاحِ اَلْخَفِيَّةِ وَسِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ اَلْبَارِئِ اَلْمُبْدِعِ لَا هِيَ بِالْجِسْمِ فَتُحَسَّ وَلَا بِالرِّيحِ فَتُشَمَّ بَلْ هِيَ كَالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ رَبِّي لَا يَظْهَرُ مِنْهَا إِلَّا أَثَرُهَا وَمَا تَأْتِيهِ مِنْ جَلَائِلِ اَلْأَعْمَالِ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا فِي كُلِّ كَائِنٍ وَتَظْهَرُ فِيهِ بِالْاِحْتِكَاكِ وَالْعَرْكِ وَبِوَسَائِطَ أُخْرَى كِمْيَاوِيَّةٍ غَيْرِ آلِيَّةٍ وَتَسِيلُ وَتَجْرِي جَرْيًا سَرِيعًا فِي بَعْضِ اَلْأَجْسَامِ وَبَطِيئًا فِي غَيْرِهَا وَمِنَ اَلْأَجْسَامِ مَا يَصُدُّهَا وَيُوقِفُهَا فَلَا تَتَعَدَّاهُ

تِلْكَ اَلْقُوَّةُ هِيَ اَلْكَهْرُبَاءُ اَلَّتِي اُسْتُخْدِمَتْ فِي سَائِرِ

ٱلْأَعْمَالِ كَبِيرِهَا وَصَغِيرِهَا عَظِيمِهَا وَحَقِيرِهَا وَتَفَرَّدَتْ عَنْ غَيْرِهَا مِنَ ٱلْقُوَى بِٱجْتِيَازِ ٱلْأَبْعَادِ ٱلثَّانِيَةِ وَشَقِّ غِمَارِ ٱلْبِحَارِ حَتَّى لَقَدْ أَصْبَحَ بِهَا ٱلْإِنْسَانُ قَادِرًا عَلَى أَنْ يُحَادِثَ صَدِيقَهُ بِٱلتِّلِفُونِ وَبَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ بَعِيدُ ٱلْمَدَى وَأَنْ يُكَاتِبَهُ بِٱلتِّلِغْرَافِ فِي لَمْحَةٍ مِصْدَاقًا لِقَوْلِ ٱلْعَامَّةِ « غَمِّضْ عَيْنَكَ وَٱفْتَحْهَا تَرَ ٱلْأَمْرَ قَدْ وَقَعَ »

وَٱلْكَهْرُبَاءُ صِنْفَانِ لَا يَكَادُ يُؤَثِّرُ ٱلْوَاحِدُ مِنْهُمَا عَلَى ٱنْفِرَادِهِ وَمَتَى ٱجْتَمَعَا بِٱلْمُلَامَسَةِ لَمْ يَقْوَ شَيْءٌ عَلَى صَدِّ تَيَّارِهِمَا ٱلْجَارِفِ بَلِ ٱجْتَازَا كُلَّ مَا يَعْتَرِيهِمَا مِنَ ٱلْعَقَبَاتِ طَوْعَ أَمْرِ ٱلْمُدَبِّرِ لَهُمَا

وَلَمَّا أَدْرَكَ ٱلنَّاسُ مِنْ صِنْفَيِ ٱلْكَهْرُبَاءِ شِدَّةَ مَيْلِهِمَا إِلَى ٱلتَّوَاصُلِ وَٱلِٱجْتِمَاعِ صَنَعُوا ٱلْعُدَدَ وَٱلْآلَاتِ بِحَيْثُ يُجْمَعُ بَيْنَ ٱلصِّنْفَيْنِ مَتَى طُلِبَ ٱلْعَمَلُ وَيُفَرَّقُ بَيْنَهُمَا مَتَى طُلِبَ ٱلْوُقُوفُ فَيُسَيَّرَانِ فِي سِلْكَيْنِ دَقِيقَيْنِ

مُجْتَمِعَيْنِ فِي ٱلنِّهَايَةِ مُفْتَرِقَيْنِ فِي ٱلْمَبْدإِ ٱلَّذِي قَدْ رُكِّبَ عَلَيْهِ زِرٌّ إِذَا حُرِّكَ جَمَعَ بَيْنَ ٱلسِّلْكَيْنِ وَأَثَّرَتِ ٱلْكَهْرُبَاءُ تَأْثِيرَهَا ٱلْمَطْلُوبَ وَإِذَا أُعِيدَ فَرَقَ بَيْنَهُمَا فَٱنْقَطَعَ ٱلْعَمَلُ وَتُغَلَّفُ ٱلْأَسْلَاكُ وَٱلْعُدَدُ ٱلَّتِي تَمُرُّ فِيهَا ٱلْكَهْرُبَاءُ بِغِلَافٍ مِنَ ٱلْحَرِيرِ أَوِ ٱلْمَطَاطِ لِكَيْلَا تُؤْذِيَ ٱلنَّاسَ إِذَا مَسُّوهَا

﴿ ٢١ — ٱلْمَدِينَةُ ٱلْمُنَوَّرَةُ ﴾

رُوَاءٌ ٱلْمَزَاغِلُ مُقَوَّضَةٌ ٱلْمُنَاخَةُ

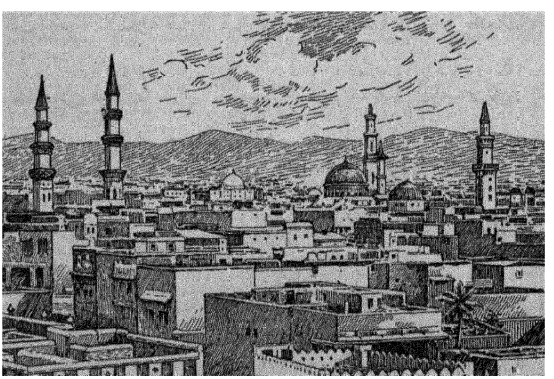

كَانَتِ ٱلْمَدِينَةُ فِي ٱلْقَرْنِ ٱلْأَوَّلِ لِلْهِجْرَةِ فِي غَايَةِ الرُّقِيِّ بِسَاتِينُهَا تَمْلَأُ ٱلْفَضَاءَ ٱلْمُحِيطَ بِهَا وَكَانَ لِلْقَوْمِ بِهَا رِيَاضٌ زَاهِرَةٌ وَقُصُورٌ بَاهِرَةٌ فِي وَادِي ٱلْعَقِيقِ ٱلَّذِي كَانَ يَفُورُ مَاؤُهُ وَيَهْرُرُ وَاؤُهُ وَتَزْهُو أَرْجَاؤُهُ وَيَكْثُرُ زَهْرُهُ وَيَفُوحُ عِطْرُهُ وَيُجْنَى ثَمَرُهُ وَأَسْوَاقُهَا مَشْحُونَةٌ بِٱلْمَتَاجِرِ ٱلْوَارِدَةِ إِلَيْهَا مِنَ ٱلْهِنْدِ وَٱلسِّنْدِ وَٱلشَّامِ وَبِلَادِ ٱلْعَجَمِ مِنْ ثِيَابِ ٱلْقُطْنِ وَٱلْحَرِيرِ وَٱلصُّوفِ وَٱلْبُسُطِ

وَتِجَارَةُ ٱلتَّمْرِ فِيهَا أَكْبَرُ ٱلتِّجَارَاتِ وَأَوْسَعُهَا لِأَنَّ أَرْبَاضَهَا فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ ٱلْمَزَارِعِ وَٱلْبَسَاتِينِ وَنَخِيلُهَا تُنْتِجُ نَحْوَ سَبْعِينَ صِنْفًا مِنَ ٱلتَّمْرِ يَمْتَازُ بَيْنَهَا ٱلْعَنْبَرِيُّ بِشِدَّةِ حَلَاوَتِهِ وَكَانَتْ أَبْنِيَةُ ٱلْمَدِينَةِ فِي أَوَّلِ ٱلْقَرْنِ ٱلثَّامِنِ ٱلْهِجْرِيِّ مَحْصُورَةً فِي سُورٍ بَنَاهُ حَوْلَهَا ٱلْأَمِيرُ جَمَالُ ٱلدِّينِ وَزِيرُ صَاحِبِ ٱلْمَوْصِلِ فِي مُنْتَصَفِ ٱلْقَرْنِ ٱلسَّادِسِ وَهُوَ بَاقٍ إِلَى ٱلْآنَ وَعَلَى مُحِيطِهِ ٱلْمَزَاغِلُ وَٱلْأَبْرَاجُ ٱلْمَشْحُونَةُ

بِالْمَدَافِعِ وَالذَّخَائِرِ الْحَرْبِيَّةِ لِصَدِّ هَجَمَاتِ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ كَثِيراً مَا كَانُوا وَلَا يَزَالُونَ يَعْتَدُونَ عَلَى حَرَمِ رَسُولِ اللهِ وَخَارِجَ هَذَا السُّورِ سُورٌ آخَرُ دَرَسْتُ مَعَالِمَهُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا جُدُرٌ مُقَوَّضَةٌ مُهَدَّمَةٌ وَيَنْزِلُ رَكْبُ الْمَحْمِلِ الْمِصْرِيِّ بَيْنَ السُّورَيْنِ فِي فَضَاءٍ اسْمُهُ الْمُنَاخَةُ

وَفِي الْمَدِينَةِ وَأَرْبَاضِهَا أَمَاكِنُ أَثَرِيَّةٌ أَلْبَسَتْهَا ذِكْرَى مَجْدِهَا الْغَابِرِ شَرَفاً وَجَلَالاً وَهَيْبَةً تَكَادُ تَتَنَزَّهُ عَنِ النَّظِيرِ وَأَشْهَرُهَا مَسْجِدُ قُبَا وَيَبْعُدُ عَنِ الْمَدِينَةِ بِمَسَافَةِ خَمْسَةِ كِيلُومِتْرَاتٍ وَهُوَ أَوَّلُ مَسْجِدٍ بُنِيَ فِي الْإِسْلَامِ بَنَاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ مَا وَفَدَ إِلَيْهَا فِي هِجْرَتِهِ

وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ يَشْرَبُونَ مِنَ الْآبَارِ وَالْمَاءُ يَجْرِي إِلَيْهَا مِنَ الْعَيْنِ الزَّرْقَاءِ فِي أَنَابِيبَ تَتَفَرَّعُ وَتَتَشَعَّبُ فِي أَنْحَاءِ الْبَلَدِ

وَمُنَاخُهَا مُعْتَدِلٌ وَهَوَاؤُهَا طَيِّبٌ وَلَعَلَّ ذَلِكَ كَانَ
مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي سَاعَدَتْ عَلَى رِقَّةِ أَهْلِهَا وَلَطَافَةِ
أُمْزِجَتِهِمْ مَعَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَاحِ وَالتَّقْوَى وَالْأَدَبِ
وَحُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ حَتَّى قِيلَ إِنَّهُمْ أَحْسَنُ أَهْلِ بِلَادِ الْعَرَبِ
فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَلَا عَجَبَ فَمُجَاوَرَتُهُمْ لِلسَّيِّدِ الرَّسُولِ
أَكْسَبَتْهُمْ كَثِيرًا مِنْ أَخْلَاقِهِ الْكَامِلَةِ عَلَى أَنَّ مَنْ
يُفَكِّرْ فِي أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اخْتَصَّهُمْ بِالْهِجْرَةِ
إِلَى بَلَدِهِمْ يَحْكُمْ بِأَنَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ فِيهِمْ مِنْ زَمَنٍ
بَعِيدٍ وَحَسْبُكَ أَنَّهُ أَعْلَنَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ أَنَّهُ لَا يَوَدُّ الْمَوْتَ
إِلَّا بَيْنَ أَظْهُرِ الْأَنْصَارِ وَهَؤُلَاءِ أَعْقَابُهُمُ الْيَوْمَ عَلَى
سُنَّتِهِمْ فَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ

(مقتبس من الرحلة الحجازية)

﴿ ٢٢ — اَلْحَمَاسَةُ ﴾

اَلْقِنَاعُ اَللِّفَاعُ اَلْمَصَانِعُ اَلذَّوَابِلُ
اَلْهَيْجَاءُ حُسَامٌ

إِذَا كَشَفَ اَلزَّمَانُ لَكَ اَلْقِنَاعَا
وَمَدَّ إِلَيْكَ صَرْفُ اَلدَّهْرِ بَاعَا
فَلَا تَخْشَ اَلْمَنِيَّةَ وَاقْتَحِمْهَا
وَدَافِعْ مَا اَسْتَطَعْتَ لَهَا دِفَاعَا
وَلَا تَخْتَرْ فِرَاشاً مِنْ حَرِيرٍ
وَلَا تَبْكِ اَلْمَنَازِلَ وَالْبِقَاعَا
وَحَوْلَكَ نِسْوَةٌ يَنْدُبْنَ حُزْناً
وَيَهْتِكْنَ اَلْبَرَاقِعَ وَاللِّفَاعَا
يَقُولُ لَكَ اَلطَّبِيبُ دَوَاكَ عِنْدِى
إِذَا مَاجَسَّ كَفَّكَ وَالذِّرَاعَا

وَلَوْ عَرَفَ ٱلطَّبِيبُ دَوَاءَ دَاءٍ
يَرُدُّ ٱلْمَوْتَ مَاقَاسَى ٱلنِّزَاعَا
وَفِي يَوْمِ ٱلْمَصَانِعِ قَدْ تَرَكْنَا
لَنَا بِفِعَالِنَا خَبَرًا مُشَاعَا
أَقَمْنَا بِٱلذَّوَابِلِ سُوقَ حَرْبٍ
وَصَيَّرْنَا ٱلنُّفُوسَ لَهَا مَتَاعَا
حِصَانٍ كَانَ دَلَّالَ ٱلْمَنَايَا
نَخَاضَ غِمَارَهَا وَشَرَى وَبَاعَا
وَسَيْفٍ كَانَ فِي ٱلْهَيْجَا طَبِيبًا
يُدَاوِي رَأْسَ مَنْ يَشْكُو ٱلصُّدَاعَا
أَنَا ٱلْعَبْدُ ٱلَّذِي خُبِّرْتَ عَنْهُ
وَقَدْ عَايَنْتَنِي فَدَعِ ٱلسَّمَاعَا
وَلَوْ أَرْسَلْتُ رُمْحِي مَعْ جَبَانٍ
لَكَانَ بِهَيْبَتِي يَلْقَى ٱلسِّبَاعَا

مَلَأْتُ ٱلْأَرْضَ خَوْفًا مِنْ حُسَامِي
وَخَصْمِي لَمْ يَجِدْ فِيهَا ٱتِّسَاعَا
إِذَا ٱلْأَبْطَالُ فَرَّتْ خَوْفَ بَأْسِي
تَرَى ٱلْأَقْطَارَ بَاعًا أَوْ ذِرَاعَا

(ديوان عنترة بن شداد)

﴿ ٢٣ — ٱلنَّشَا ﴾

بَنِيقَةٌ رُدْنٌ ٱلرَّيْطَةُ ٱلسَّخِيفَةُ
إِبْهَامٌ سَبَّابَةٌ جُمَّارٌ

هَلْ دَارَ بِخَلَدِكَ يَوْمًا أَنْ تَسْأَلَ عَنِ ٱسْمِ ٱلْمَادَّةِ ٱلَّتِي بِهَا تُكْوَى بَنِيقَةُ قَمِيصِكَ وَرُدْنَاهُ وَمِنْ أَيْنَ وَكَيْفَ تُسْتَخْرَجُ هَذِهِ ٱلْمَادَّةُ هِيَ ٱلنَّشَا وَتُسْتَخْرَجُ مِنْ أَصْنَافٍ عِدَّةٍ مِنَ ٱلنَّبَاتِ وَتُوجَدُ فِي جَمِيعِهَا لِأَنَّهَا هِيَ ٱلْمَادَّةُ ٱلَّتِي يَخْزُنُهَا ٱلنَّبَاتُ لِيَتَغَذَّى بِهَا

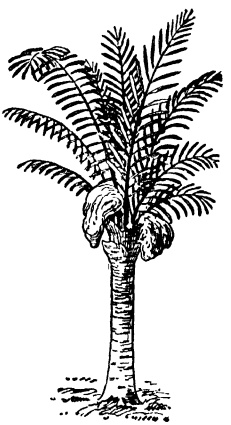

فَإِذَا أَخَذْتَ قَلِيلاً مِنْ دَقِيقِ ٱلْأَرُزِّ أَو ٱلْبُرِّ أَو ٱلشَّعِيرِ وَوَضَعْتَهُ فِي شِقَّةٍ مِنَ ٱلرَّيْطَةِ ٱلسَّخِيفَةِ وَفَرَكْتَهَا بَيْنَ إِبْهَامِكَ وَسَبَّابَتِكَ فِي مَاءٍ أَبْيَضَ ٱلْمَاءُ وَصَارَ لَوْنُهُ كَاللَّبَنِ وَٱلسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ ٱلنَّشَا يَنْفَصِلُ مِنَ ٱلدَّقِيقِ وَيَنْتَشِرُ فِي ٱلْمَاءِ فَإِذَا تُرِكَ ٱلْإِنَاءُ وَنَفْسَهُ زَمَناً رَسَبَ

ٱلنَّشَا فِى قَعْرِهِ فَإِذَا أَخَذْتَ شَيْئًا قَلِيلاً مِنْهُ وَنَظَرْتَ إِلَيْهِ بِمِنْظَارِ ٱلتَّكْبِيرِ وَجَدْتَهُ مُكَوَّنًا مِنْ ذَرَّاتٍ صَغِيرَةٍ جِدًّا لَا تُرَى بِٱلنَّظَرِ ٱلْمُجَرَّدِ وَوَجَدْتَ أَنَّ كُلَّ ذَرَّةٍ مِنْهُ عِبَارَةٌ عَنْ كِيسٍ صَغِيرٍ يَنْتَفِخُ وَيَنْفَجِرُ إِذَا صُبَّ عَلَيْهِ ٱلْمَاءُ ٱلْمُغْلَى وَلِذَلِكَ يُقَالُ إِنَّ ٱلْمَاءَ ٱلْمُغْلَى يُذِيبُ ٱلنَّشَا كَمَا يُذِيبُ ٱلسُّكَّرَ وَتَرَاهُ صَافِيًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لِلنَّشَا أَثَرٌ ظَاهِرٌ وَأَمَّا ٱلْمَاءُ ٱلْبَارِدُ فَلَا يُذِيبُهُ وَإِنَّمَا يَفْصِلُ ذَرَّاتِهِ بَعْضَهَا عَنْ بَعْضٍ وَيَبْقَى أَبْيَضَ كَٱللَّبَنِ وَإِذَا سَكَنَ رَأَيْتَ ٱلنَّشَا فِى قَعْرِ ٱلْإِنَاءِ

وَيُسْتَخْرَجُ ٱلنَّشَا بِكَثْرَةٍ مِنْ جُمَّارِ ضَرْبٍ مِنَ ٱلنَّخْلِ يَنْبُتُ فِى ٱلْبِلَادِ ٱلْحَارَّةِ وَهٰذَا ٱلنَّخْلُ إِذَا تَمَّ نَمَاؤُهُ شُقَّ وَأُخِذَ مِنْهُ ٱلْجُمَّارُ فَيُسْحَقُ وَيُغْسَلُ بِٱلْمَاءِ وَيُعْصَرُ فِيهِ فَإِذَا سَكَنَ ٱلْمَاءُ رَسَبَ ٱلنَّشَا فِى قَعْرِ ٱلْإِنَاءِ فَيُؤْخَذُ وَيُجَفَّفُ قَلِيلاً ثُمَّ يُمَرَّرُ مِنْ مَنَاخِلَ ذَاتِ عُيُونٍ مُسْتَدِيرَةٍ

فيصير كما تراه

ويستخرج كذلك من البطاطس ومن أغصان بعض صنوف الخلة وجذورها ويصنع بها ما يصنع بالجمار ويجفف بنشره على صحون مخمات وبتحريكه بمحراك حديدي

﴿ ٢٤ — كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته (١) ﴾

حدود الحقن سرب رياضة
حياطة تفريط آجل النميمة
الجراءة شره

مختار من وصية طاهر بن الحسين لابنه عبد الله ابن طاهر لما ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما

أما بعد فإن الله سبحانه قد أحسن إليك وأوجب الرأفة عليك بمن استرعاك أمرهم من عباده وألزمك

الْعَدْلَ فِيهِمْ وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ وَحُدُودِهِ عَلَيْهِمْ وَالذَّبَّ عَنْهُمْ وَالدَّفْعَ عَنْ حَرِيمِهِمْ وَمَنْصِبِهِمْ وَالْحَقْنَ لِدِمَائِهِمْ وَالْأَمْنَ لِسِرْبِهِمْ وَإِدْخَالَ الرَّاحَةِ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْكَ بِالِاقْتِصَادِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا فَلَيْسَ شَيْءٌ أَبْيَنَ نَفْعًا وَلَا أَخَصَّ أَمْنًا وَلَا أَجْمَعَ فَضْلًا مِنْهُ وَلَا تَتَّهِمَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فِيمَا تُوَلِّيهِ مِنْ عَمَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَكْشِفَ أَمْرَهُ فَإِنَّ إِيقَاعَ التُّهَمِ بِالْبُرَءَاءِ وَالظُّنُونَ السَّيِّئَةَ بِهِمْ إِثْمٌ فَاجْعَلْ مِنْ شَأْنِكَ حُسْنَ الظَّنِّ بِأَصْحَابِكَ وَاطْرُدْ عَنْكَ سُوءَ الظَّنِّ بِهِمْ وَارْفُضْهُ فِيهِمْ يُعِنْكَ ذَلِكَ عَلَى اسْتِطَاعَتِهِمْ وَرِيَاضَتِهِمْ وَلَا يَمْنَعُكَ حُسْنُ الظَّنِّ بِأَصْحَابِكَ وَالرَّأْفَةُ بِرَعِيَّتِكَ أَنْ تَسْتَعْمِلَ الْمَسْأَلَةَ وَالْبَحْثَ عَنْ أُمُورِكَ وَالْمُبَاشَرَةَ لِأُمُورِ الْأَوْلِيَاءِ وَحِيَاطَةَ الرَّعِيَّةِ وَالنَّظَرَ فِي حَوَائِجِهِمْ

وَأَقِمْ حُدُودَ اللهِ تَعَالَى فِي أَصْحَابِ الْجَرَائِمِ عَلَى

قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ وَمَا اسْتَحَقُّوهُ وَلَا تُعَطِّلْ ذَلِكَ وَلَا تَتَهَاوَنْ بِهِ وَلَا تُؤَخِّرْ عُقُوبَةَ أَهْلِ الْعُقُوبَةِ فَإِنَّ فِي تَفْرِيطِكَ فِي ذَلِكَ مَا يُفْسِدُ عَلَيْكَ حُسْنَ ظَنِّكَ وَإِذَا عَاهَدْتَ عَهْدًا فَأَوْفِ بِهِ وَإِذَا وَعَدْتَ الْخَيْرَ فَأَنْجِزْهُ وَاقْبَلِ الْحَسَنَةَ وَادْفَعْ بِهَا وَأَغْمِضْ عَنْ عَيْبِ كُلِّ ذِي عَيْبٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَاشْدُدْ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلِ الْكَذِبِ وَالزُّورِ وَأَبْغِضْ أَهْلَ النَّمِيمَةِ فَإِنَّ أَوَّلَ فَسَادِ أُمُورِكَ فِي عَاجِلِهَا وَآجِلِهَا تَقْرِيبُ الْكَذُوبِ وَالْجَرَاءَةُ عَلَى الْكَذِبِ لِأَنَّ الْكَذِبَ رَأْسُ الْمَآثِمِ وَالزُّورَ وَالنَّمِيمَةَ خَاتِمَتُهَا وَدَعْ عَنْكَ شَرَهَ نَفْسِكَ وَلْتَكُنْ ذَخَائِرُكَ وَكُنُوزُكَ الَّتِي تَدَّخِرُ وَتَكْنِزُ الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَاسْتِصْلَاحَ الرَّعِيَّةِ وَعِمَارَةَ بِلَادِهِمْ وَالتَّفَقُّدَ لِأُمُورِهِمْ وَالْإِعَانَةَ لِمَلْهُوفِهِمْ

﴿ ٢٥ – كُلُّكُمْ رَاعٍ وَ كُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عن رعيتِهِ (٢) ﴾

تُمَالِئْ فَاجِرٌ تُدَاهِنْ فَاسِقٌ
مُرَاءٍ مَرَحٌ كُورَةٌ أَمْضَى
تُزَكِّي

لَا تَحْتَقِرَنَّ ذَنْبًا وَلَا تُمَالِئَنَّ حَاسِدًا وَلَا تَرْحَمَنَّ فَاجِرًا وَلَا تَصِلَنَّ كَفُورًا وَلَا تُدَاهِنَنَّ عَدُوًّا وَلَا تُصَدِّقَنَّ نَمَّامًا وَلَا تَأْمَنَنَّ عَدُوًّا وَلَا تُوَالِيَنَّ فَاسِقًا وَلَا تَتْبَعَنَّ غَاوِيًا وَلَا تَحْمَدَنَّ مُرَائِيًا وَلَا تَحْقِرَنَّ إِنْسَانًا وَلَا تَرُدَّنَّ سَائِلًا فَقِيرًا وَلَا تُحَسِّنَنَّ بَاطِلًا وَلَا تُلَاحِظَنَّ مُضْحِكًا وَلَا تُخْلِفَنَّ وَعْدًا وَلَا تُذْهِبَنَّ فَخْرًا وَلَا تُظْهِرَنَّ غَضَبًا وَلَا تَمْشِيَنَّ مَرَحًا وَلَا تُزَكِّيَنَّ سَفِيهًا وَلَا تَرْفَعْ لِلنَّمَّامِ عَيْنًا وَلَا تُغْمِضْ عَنْ ظَالِمٍ رَهْبَةً مِنْهُ أَوْ مُحَابَاةً وَاجْعَلْ فِي كُلِّ كُورَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ خَبَرَ عُمَّالِكَ وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ بِسِيَرِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ فِي عَمَلِهِ

مُعايِنًا لامُورِهِ وَإِذا أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِأَمْرٍ فَانْظُرْ فى عَواقِبِ مَاأَرَدْتَ مِنْ ذَلِكَ فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلامَةَ فِيهِ وَالْعافِيَةَ وَرَجَوْتَ فيهِ حُسْنَ الدِّفاعِ وَالصُّنْعِ فَأَمْضِهِ وَإِلَّا فَتَوَقَّفْ عَنْهُ وَراجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ بِهِ ثُمَّ خُذْ فِيهِ عُدَّتَكَ فَإِنَّهُ رُبَّمَا نَظَرَ الرَّجُلُ فِى أَمْرِهِ وَقَدْ أَتاهُ عَلَى مايَهْوَى فَأَغْواهُ ذَلِكَ وَأَعْجَبَهُ فَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِى عَواقِبِهِ أَهْلَكَهُ وَنَقَضَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ فَاسْتَعْمِلِ الْحَزْمَ فِى كُلِّ مَاأَرَدْتَ وَبَاشِرْهُ بَعْدَ عَوْنِ اللهِ عزَّ وجلَّ بِالْقُوَّةِ وَأَكْثِرْ مِنَ اسْتِخارَةِ رَبِّكَ فِى أُمُورِكَ وَافْرُغْ مِنْ عَمَلِ يَوْمِكَ وَلَا تُؤَخِّرْهُ وَأَكْثِرْ مُبَاشَرَتَهُ بِنَفْسِكَ فَإِنَّ لِغَدٍ أُمُورًا وَحَوادِثَ تُلْهِيكَ عَنْ عَمَلِ يَوْمِكَ الَّذِى أَخَّرْتَ وَاعْلَمْ أَنَّ الْيَوْمَ إِذَا مَضَى ذَهَبَ بِمَا فِيهِ وَإِذَا أَمْضَيْتَ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ أَرَحْتَ بَدَنَكَ وَنَفْسَكَ وَجَمَعْتَ أَمْرَ سُلْطَانِكَ

**** ** *** ***

﴿ ٢٦ — كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ (٣) ﴾

بَلَا لَوِيَّةٌ ؛ مُظَاهَرَةٌ اَلْبَأْسَاءُ

أَرَامِلُ أَرْزَاقٌ سَرَفٌ مُؤَامَرَةٌ

تَمُنُّنَ اَلْحَزْمُ

وَانْظُرْ أَحْرَارَ النَّاسِ وَذَوِى الْفَضْلِ مِنْهُمْ مِمَّنْ بَلَوْتَ صَفَاءَ طَوِيَّتِهِمْ وَشَهِدْتَ مَوَدَّتَهُمْ لَكَ وَمُظَاهَرَتَهُمْ بِالنُّصْحِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى أَمْرِكَ فَاسْتَخْلِصْهُمْ وَأَحْسِنْ إِلَيْهِمْ وَأَفْرِدْ نَفْسَكَ بِالنَّظَرِ فِى أُمُورِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى رَفْعِ مَظْلَمَتِهِ إِلَيْكَ وَالْمُحْتَقَرِ الَّذِى لَا عِلْمَ لَهُ بِطَلَبِ حَقِّهِ وَتَعَاهَدْ ذَوِى الْبَأْسَاءِ وَيَتَامَاهُمْ وَأَرَامِلَهُمْ وَاجْعَلْ لَهُمْ أَرْزَاقًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَانْصِبْ لِلْمَرْضَى دُورًا تُؤْوِيهِمْ وَقُوَّامًا يَرْفُقُونَ بِهِمْ وَأَطِبَّاءَ يُعَالِجُونَ أَسْقَامَهُمْ وَأَسْعِفْهُمْ بِشَهَوَاتِهِمْ مَالَمْ يُؤَدِّ ذَلِكَ إِلَى سَرَفٍ فِى بَيْتِ الْمَالِ

وَٱعْرِفْ مَا يَجْمَعُ عُمَّالُكَ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ وَمَا يُنْفِقُونَ مِنْهَا وَلَا تَجْمَعْ حَرَامًا وَلَا تُنْفِقْ إِسْرَافًا وَلْيَكُنْ أَكْرَمَ دُخَلَائِكَ وَخَاصَّتِكَ عَلَيْكَ مَنْ إِذَا رَأَى عَيْبًا لَمْ تَمْنَعْهُ هَيْبَتُكَ مِنْ إِنْهَاءِ ذَلِكَ إِلَيْكَ فِي سِتْرٍ وَإِعْلَامِكَ بِمَا فِيهِ مِنَ ٱلنَّقْصِ فَإِنَّ أُولَئِكَ أَنْصَحُ أَوْلِيَائِكَ وَمُظَاهِرِيكَ لَكَ وَٱنْظُرْ عُمَّالَكَ ٱلَّذِينَ بِحَضْرَتِكَ وَكُتَّابَكَ فَوَقِّتْ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقْتًا يَدْخُلُ فِيهِ بِكُتُبِهِ وَمُؤَامَرَتِهِ وَمَا عِنْدَهُ مِنْ حَوَائِجِ عُمَّالِكَ وَأُمُورِ ٱلدَّوْلَةِ وَرَعِيَّتِكَ ثُمَّ فَرِّغْ لِمَا يُورَدُ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ سَمْعَكَ وَبَصَرَكَ وَفَهْمَكَ وَعَقْلَكَ وَكَرِّرِ ٱلنَّظَرَ فِيهِ وَٱلتَّدَبُّرَ لَهُ فَمَا كَانَ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَٱلْحَزْمِ فَأَمْضِهِ وَٱسْتَخِرِ ٱللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ وَمَا كَانَ مُخَالِفًا لِذَلِكَ فَاصْرِفْهُ إِلَى ٱلْمَسْأَلَةِ وَٱلتَّثَبُّتِ وَلَا تَمْتَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ وَلَا غَيْرِهِمْ بِمَعْرُوفٍ تُؤْتِيهِ إِلَيْهِمْ وَلَا تَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا

ٱلْوَفَاءَ وَٱلاَسْتِقَامَةَ فِى أُمُورِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَلاَ تَصْنَعَنَّ ٱلْمَعْرُوفَ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ

﴿ ٢٧ — ٱلْوِشَايَةُ ﴾

ٱلْوِشَايَةُ أَتْرَاحٌ يتناجَشُ يَتَدَابَرُ
يَهْجُو أَطْرَقَ هُنَيْهَةٌ أَقْصَى يَنْسَلُّ

كَانَ يُوسُفُ وَسَيْفُ ٱلدِّينِ رَفِيقَيْنِ قَلَّ أَنْ يَفْتَرِقَا إِلاَّ فِى وَقْتِ ٱلنَّوْمِ فَكَانَا يَتَعَاوَنَانِ فِى ٱلْمُدَارَسَةِ وَيَتَرَافَقَانِ فِى ٱلنُّزْهَةِ وَيَتَشَارَكَانِ فِى أَفْرَاحِهِمَا وَأَتْرَاحِهِمَا وَبِٱلْجُمْلَةِ كَانَا كَٱلأَخَوَيْنِ لاَ يَتَحَاسَدَانِ وَلاَ يَتَنَاجَشَانِ وَلاَ يَتَبَاغَضَانِ وَلاَ يَتَدَابَرَانِ وَكَانَ يَمِيلُ كُلٌّ مِنْهُمَا إِلَى ٱلآخَرِ وَيَنْجَذِبُ إِلَيْهِ لِتَوَافُقٍ فِى مِزَاجَيْهِمَا فَسَاءَ ذَلِكَ تِلْمِيذًا حَسُودًا كَانَ يَحْزَنُ لِرُؤْيَةِ ٱلنِّعْمَةِ عَلَى غَيْرِهِ وَيَفْرَحُ لِمَا يَقَعُ بِهِ مِنَ ٱلْمَصَائِبِ وَفَكَّرَ أَنْ يَشِيَ لِأَحَدِهِمَا إِرَادَةً بِٱلآخَرِ فَٱخْتَارَ يُوسُفَ وَٱنْفَرَدَ بِهِ مَرَّةً وَذَكَرَ

لَهُ مِنْ سَيِّئَاتِ سَيْفِ الدِّينِ مَالَا عَهِدَ لَهُ بِهِ مِنْ قَبْلُ
وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَانَ يَهْجُوهُ لَهُ فَغَضِبَ يُوسُفُ وَحَدَّثَتْهُ
نَفْسُهُ أَنْ يَقْطَعَ أَخَاهُ وَلَكِنْ مَالَبِثَ أَنْ هَدَأَ وَالْتَفَتَ
إِلَى ذَلِكَ الْوَاشِي وَقَالَ « اسْمَعْ يَا إِبْرَاهِيمُ وَشَى وَاشٍ بِعَبْدِ
اللهِ بْنِ هَمَّامٍ إِلَى زِيَادٍ فَقَالَ لَهُ إِنَّهُ هَجَاكَ فَقَالَ أَأَجْمَعُ
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَالَ نَعَمْ فَبَعَثَ زِيَادٌ إِلَى ابْنِ هَمَّامٍ فَأُتِيَ
بِهِ وَأُدْخِلَ الرَّجُلُ بَيْتًا فَقَالَ زِيَادٌ يَا ابْنَ هَمَّامٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ
هَجَوْتَنِي فَقَالَ كَلَّا أَصْلَحَكَ اللهُ مَا فَعَلْتُ وَلَا أَنْتَ لِذَلِكَ
بِأَهْلٍ فَقَالَ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ أَخْبَرَنِي وَأَخْرَجَ الرَّجُلَ
فَأَطْرَقَ ابْنُ هَمَّامٍ هُنَيْهَةً ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ فَقَالَ

أَنْتَ امْرُؤٌ إِمَّا ائْتَمَنْتُكَ خَالِيًا
فَخُنْتَ وَإِمَّا قُلْتَ قَوْلًا بِلَا عِلْمِ
فَأُبْتَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا
بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْخِيَانَةِ وَالْإِثْمِ

فَأُعْجِبَ زِيَادٌ بِجَوَابِهِ وَأَقْصَى الْوَاشِيَ وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ فَمَا

رَأْيُكَ فِي أَنْ أَجْمَعَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ سَيْفِ الدِّينِ » فَاعْتَذَرَ لَهُ وَمَا كَادَ يَنْتَهِي مِنَ الِاعْتِذَارِ حَتَّى قَدِمَ سَيْفُ الدِّينِ فَأَخَذَ الْوَاشِي يَنْسَلُّ فَمَنَعَهُ يُوسُفُ عَنِ الْخُرُوجِ وَقَصَّ عَلَى سَيْفِ الدِّينِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ فَخَجِلَ الْوَاشِي وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَسَكَتَ فَقَالَ سَيْفُ الدِّينِ « قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا) » وَبَعْدَ ذَلِكَ شَكَرَ سَيْفُ الدِّينِ يُوسُفَ عَلَى سُلُوكِهِ الَّذِي كَانَ سَبَبًا فِي قَطْعِ الْوِشَايَةِ بَيْنَهُمَا

﴿ ٢٨ — التِّلِغْرَافُ ﴾

مِضْمَارٌ تَلَمَّسَ تُمَهِّدُ مَقْبِضٌ
الْفُولَاذُ لَوْلَبٌ يَقْرَعُ

إِنَّ رُقِيَّ الْحَضَارَةِ وَتَقَدُّمَ الصِّنَاعَةِ وَالْأَعْمَالِ وَالتَّزَاحُمَ عَلَى مَرَافِقِ الْمَعِيشَةِ بَعَثَتْ فِي نُفُوسِ النَّاسِ شَغَفًا بِالْمُسَارَعَةِ إِلَى قَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ حَتَّى يَبْلُغَ السَّابِقُ

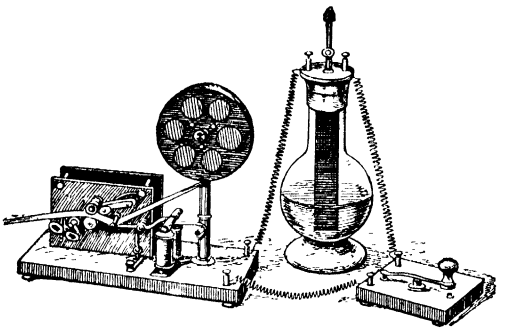

غَايَتَهُ فِي مِضْمَارِ الْحَيَاةِ فَتَلَمَّسُوا كُلَّ الْوَسَائِلِ الَّتِي تُمَهِّدُ لَهُمْ سَبِيلَهُمْ هَذَا وَقَامَ الْعُلَمَاءُ وَالْكَشَّافُونَ وَالْمُخْتَرِعُونَ يُجَرِّبُونَ وَيَبْحَثُونَ وَيُؤَلِّفُونَ حَتَّى اهْتَدَى مُورِسُ سَنَةَ ١٨٣٦ إِلَى اخْتِرَاعِ آلَةِ التِّلِغْرَافِ وَاسْتِخْدَامِهَا فِي الرَّسَائِلِ

وَصَلَ هَذَا الْمُخْتَرِعُ بَيْنَ مَكَانَيْنِ بِسِلْكَيْنِ يَحْمِلُ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صِنْفًا مِنْ صِنْفَيِ الْكَهْرُبَاءِ وَجَعَلَ فِي أَحَدِ الْمَكَانَيْنِ آلَةً شَبَكَ بِهَا السِّلْكَيْنِ وَهُمَا مُفْتَرِقَانِ وَاتَّخَذَ لَهَا مِقْبِضًا كُلَّمَا انْخَفَضَ نَزَلَ عَلَى

ٱلْقَاعِدَةِ فَاجْتَمَعَ ٱلسِّلْكَانِ وَجَرَى تَيَّارُ ٱلْكَهْرُبَاءِ ثُمَّ جَعَلَ فِي ٱلْمَكَانِ ٱلثَّانِي آلَةً أُخْرَى لَهَا لَفِيفَتَانِ مِنَ ٱلْأَسْلَاكِ قَدْ مُدَّتْ عَلَى أَحَدِ طَرَفَيْهَا حَدِيدَةٌ مُعَلَّقٌ فَوْقَهَا مِسْمَارٌ مُتَّصِلٌ بِلَوْلَبٍ يَشُدُّهُ إِلَى أَعْلَى وَمَتَى ٱتَّصَلَ ٱلسِّلْكَانِ بِخَفْضِ مَقْبِضِ ٱلْآلَةِ ٱلْأُولَى جَذَبَتِ ٱلْحَدِيدَةُ ذَلِكَ ٱلْمِسْمَارَ فَوْقَهَا فَيَقْرَعُهَا وَيُلَاصِقُهَا إِلَى أَنْ يَفْتَرِقَ ٱلسِّلْكَانِ وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ ٱلْحَرَكَةُ لَا تُؤَدِّي إِلَى كِتَابَةِ ٱلْحُرُوفِ أَوِ ٱلْأَرْقَامِ ٱتُّخِذَتْ إِشَارَاتٌ تَدُلُّ عَلَى ٱلْكِتَابَةِ مِنْ نُقَطٍ وَخُطُوطٍ صَغِيرَةٍ تَخْتَلِفُ فِي عَدَدِهَا وَتَرْتِيبِهَا بِٱخْتِلَافِ ٱلْحُرُوفِ وَٱلْأَرْقَامِ فَإِذَا أُرِيدَ كِتَابَةُ نُقْطَةٍ أُنْزِلَ ٱلْمَقْبِضُ مَرَّةً ثُمَّ سُيِّبَ عَلَى ٱلْفَوْرِ وَمَتَى أُرِيدَ كِتَابَةُ خَطٍّ أُنْزِلَ ٱلْمَقْبِضُ كَذَلِكَ وَلَكِنَّهُ لَا يُسَيَّبُ إِلَّا بَعْدَ مُدَّةٍ تَكْفِي لِقَرْعِ ثَلَاثِ نُقَطٍ وَجَعَلُوا بَيْنَ ٱلْحَدِيدَةِ وَٱلْمِسْمَارِ شَرِيطًا مُتَحَرِّكًا مِنَ ٱلْوَرَقِ تُعْلَمُ

فيهِ هذِهِ ٱلرُّمُوزُ وَقَدْ جَعَلُوا فِي كُلِّ مَكْتَبٍ مِنْ مَكَاتِبِ ٱلتِّلِغْرَافِ كِلْتَا ٱلْآلَتَيْنِ لِإِرْسَالِ ٱلرَّسَائِلِ وَتَسَلُّمِهَا وَجَرَى بَعْدَ ذَلِكَ تَحْسِينٌ وَتَعْدِيلٌ فِي أَزْمَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ حَتَّى ٱسْتَطَاعَ ٱلنَّاسُ أَنْ يَكْتُبُوا رَسَائِلَهُمُ ٱلتِّلِغْرَافِيَّةَ بِٱلْخَطِّ وَٱسْتَغْنَوْا عَنِ ٱلْإِشَارَاتِ وَلَكِنَّ هٰذَا ٱلنَّوْعَ لَمْ يَشِعْ بَعْدُ فِي ٱلدُّنْيَا

﴿ ٢٩ — زُهْدُ ٱلْهُنُودِ (١) ﴾

ٱلْبَرَاهِمَةُ ٱلْفُحْشُ تَأَفُّفٌ حَمْلَةٌ

نَزِيهٌ وَسْوَسَ ٱلِٱنْتِحَارُ مَضَضٌ

طَلِيعَةٌ وَجَلٌ تَلَثُّمٌ

فِي ٱلْهِنْدِ فِئَةٌ مِنَ ٱلْبَرَاهِمَةِ كُهَّانُ ٱلْهُنُودِ يَقْضُونَ حَيَاتَهُمْ عُرَاةَ ٱلْأَجْسَامِ وَلَا يَأْكُلُونَ ٱللَّحْمَ بَلْ يَقْتَاتُونَ مِنَ ٱلْأَلْبَانِ وَمَا صَلَحَ مِن نَبَاتِ ٱلْأَرْضِ وَثِمَارِ ٱلْأَشْجَارِ وَقَدْ عُرِفُوا بِٱلزُّهْدِ فَلَا يَأْتُونَ ٱلْفُحْشَ وَلَا يَرْكَبُونَ ٱلْمُنْكَرَ وَيُكْثِرُونَ ٱلصَّوْمَ وَلَا يَتَكَلَّمُونَ أَيَّامًا طِوَالًا

وَهُمْ ذَوُو صَبْرٍ وَجَلَدٍ شَهِدَ لَهُمْ بِهَا شِيشِرُونُ ٱلرُّومَانِيُّ خِلَالَ كَلَامِهِ عَنِ ٱلْآلَامِ ٱلْهَائِلَةِ ٱلَّتِي يُقَاسِيهَا كَثِيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ بِثَبَاتٍ عَجِيبٍ قَالَ « إِنَّ فِي ٱلْهِنْدِ حُكَمَاءَ يَقْضُونَ أَزْمَانَهُمْ عُرَاةً وَيَحْتَمِلُونَ بَرْدَ ٱلثَّلْجِ وَظُلْمَةَ ٱلضَّبَابِ مِنْ غَيْرِ تَأَفُّفٍ وَلَا ضَجَرٍ وَإِذَا رَأَوُا ٱلنَّارَ ٱسْتَسْلَمُوا لَهَا فَتَحْتَرِقُ أَجْسَامُهُمْ وَهُمْ صَامِتُونَ »

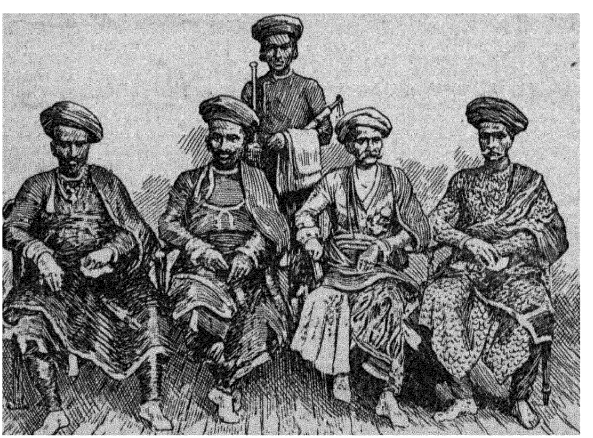

وَقَدْ حَكَى رُوَاةُ حَمْلَةِ ٱلْإِسْكَنْدَرِ ٱلْمَقْدُونِيِّ أَنَّهُ

يَوْمَ بَلَغَ تَكْسِيلاَ مِنْ بِلاَدِ الْهِنْدِ رَأَى جَمَاعَةً مِنْ هَؤُلاَءِ الْحُكَمَاءِ الْعُرَاةِ عَلَى مَاوَصَفْنَاهُمْ مِنَ الْآدَابِ وَالْفَضَائِلِ فَأُعْجِبَ بِهِمْ كَثِيراً وَصَحِبَهُ مِنْهُمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ كَالَانِيسُ أَحَبَّهُ الْإِسْكَنْدَرُ وَبَالَغَ فِى إِكْرَامِهِ وَكَانَ الرَّجُلُ شُجَاعاً فَاضِلاً وَشَيْخاً نَزِيهاً بَلَغَ السَّبْعِينَ مِنْ سِنِيهِ إِلَّا أَنَّ الشَّيْخُوخَةَ وَمَا تَجْلِبُ مِنَ التَّعَبِ وَسْوَسَتْ لَهُ التَّخَلُّصَ مِنْ عَنَاءِ الْكِبَرِ فَعَزَمَ عَلَى إِحْرَاقِ جِسْمِهِ وَالْاِسْتِرَاحَةِ مِنْ مَضَضِ الْحَيَاةِ وَعَيَّنَ يَوْمَ الْاِنْتِحَارِ

وَلَمَّا جَاءَ الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ اجْتَمَعَ الْجُنْدُ وَالْقُوَّادُ وَجَمْعٌ غَفِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَفِى طَلِيعَتِهِمُ الْإِسْكَنْدَرُ فِى سَهْلٍ فَسِيحٍ حَيْثُ أَتَى ذَلِكَ الشَّيْخُ وَاقْتَرَبَ مِنْ مَوْضِعِ النَّارِ بِجَأْشٍ رَابِطٍ غَيْرَ هَيَّابٍ وَلَا وَجِلٍ وَأَلْقَى نَفْسَهُ وَسْطَ اللَّهِيبِ وَأَخَذَتِ النَّارُ تَلْتَهِمُ لَحْمَهُ وَهُوَ صَامِتٌ

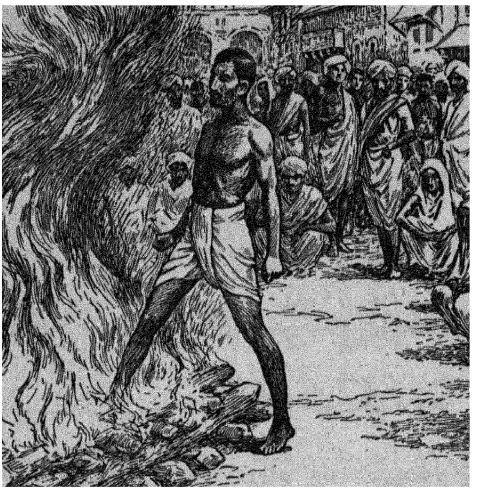

لَا يَئِنُّ وَلَا يَشْكُو

وَذُكِرَتْ حَادِثَةٌ أُخْرَى مِنْ نَوْعِهَا وَهِيَ أَنَّ هِنْدِيًّا مِنْ هَؤُلَاءِ ٱلْحُكَمَاءِ لَحِقَ بِٱلْإِسْكَنْدَرِ حَتَّى آثِينَا وَعَمِلَ هُنَاكَ مَا عَمِلَهُ كَالَانِيسُ فِي ٱلْهِنْدِ وَأَنَّ ٱلْمَوْضِعَ ٱلَّذِي ٱحْتَرَقَ فِيهِ سُمِّيَ مُنْذُ ذَلِكَ ٱلْوَقْتِ بِٱلْقَبْرِ ٱلْهِنْدِيِّ

(المقتطف)

﴿ ٣٠ — زُهدُ الهُنُودِ (٢) ﴾

اَلغُلُوُّ اِستِئصَالٌ جَابَ اَلنِّحَلُ
تَدَنَّسَ تَذكِيَةٌ إِكلِيلٌ اَلصُّنُوجُ
أُجِجَ

لَقَدْ كَانَ النَّاسُ يَزْعُمُونَ مِنْ قَبْلُ أَنَّ مَادَوَّنَهُ رُوَاةُ حَمْلَةِ الإِسْكَنْدَرِ عَنْ هَؤُلاءِ الْحُكَمَاءِ وَمَا يَعْمَلُونَ لَا يَخْلُو مِنَ الْغُلُوِّ وَلَا يَخْرُجُ عَنْ حَدِّ الْأَقَاصِيصِ الْمَوْضُوعَةِ لِمَا فِي تِلْكَ الْحَوَادِثِ مِنَ الْغَرَابَةِ وَالشُّذُوذِ عَنِ الْمَعْرُوفِ الْمُشَاهَدِ مِنْ عَادَاتِ الْأُمَمِ وَأَعْمَالِهِمْ حَتَّى دَخَلَ الْفَرَنْجُ بِلَادَ الْهِنْدِ وَافْتَتَحُوهَا الْإِنْكِلِيزُ فَأَمَّهَا طُلَّابُ الْعِلْمِ وَأَهْلُ التِّجَارَةِ وَدُعَاةُ الدِّينِ مِنَ الْأَوْرُبِّيِّينَ وَأَخَذُوا فِي دِرَاسَةِ أَهْلِهَا وَعَادَاتِهِمْ

فَرَأَوْا أَنَّ مَا كَتَبَهُ الْمُؤَرِّخُونَ الْأَقْدَمُونَ لَا غُبَارَ عَلَيْهِ وَأَنَّ الْهُنُودَ مَا بَرِحُوا عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْعَادَاتِ

وَالْأَخْلَاقِ وَأَنَّ التَّمَدُّنَ الْأَوْرُبِّيَّ لَمْ يَقْوَ حَتَّى الْيَوْمِ عَلَى اسْتِئْصَالِ تِلْكَ الْعَادَاتِ وَخَبَرُ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْيُونَانِ مِنْ حَمَلَةِ الْإِسْكَنْدَرِ قِيلَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَهْدِ فِيثَاغُورِسَ يَوْمَ جَابَ الْأَقْطَارَ الشَّرْقِيَّةَ وَبَلَغَ الْهِنْدَ وَأَخَذَ عَنْ حُكَمَائِهَا الْعِلْمَ وَالْفَلْسَفَةَ عَلَى قَوْلٍ وَلَمْ يَكُنْ خَبَرُ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ مَعْرُوفًا لَدَى عُلَمَاءِ الْيُونَانِ وَالرُّومَانِ فَقَطْ فَقَدِ اتَّصَلَ نَبَؤُهُمْ بِعُلَمَاءِ الْعَرَبِ فَدَوَّنُوهُ فِي مُؤَلَّفَاتِهِمْ وَحَسْبُكَ مَا كَتَبَهُ الشَّهْرِسْتَانِيُّ فِي كِتَابِ الْمِلَلِ وَالنِّحَلِ قَالَ « وَمِنْ حُكَمَاءِ الْهِنْدِ مَنْ إِذَا رَأَى عُمْرَهُ قَدْ تَدَنَّسَ أَلْقَى نَفْسَهُ فِي النَّارِ تَذْكِيَةً لِنَفْسِهِ وَتَطْهِيرًا لِبَدَنِهِ وَتَخْلِيصًا لِرُوحِهِ » وَقَالَ أَبُو الْفِدَاءِ « إِنَّ الْهُنُودَ يُحْرِقُونَ أَنْفُسَهُمْ وَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ ذَلِكَ أَتَى إِلَى بَابِ الْمَلِكِ وَاسْتَأْذَنَهُ فِي إِحْرَاقِ نَفْسِهِ فَإِذَا أَذِنَ لَهُ أَلْبَسَ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَنْوَاعَ الْحَرِيرِ الْمَنْقُوشِ وَجُعِلَ

عَلَى رَأْسِهِ إِكْلِيلٌ مِنَ الرَّيْحَانِ وَخَرَجَتِ الطُّبُولُ وَالصُّنُوجُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَدْ أُجِجَتْ لَهُ النِّيرَانُ وَيَدُورُ كَذَلِكَ فِي الْأَسْوَاقِ وَحَوْلَهُ أَهْلُهُ وَأَقَارِبُهُ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ النَّارِ أَخَذَ خِنْجَراً بِيَدِهِ وَشَقَّ بِهِ جَوْفَهُ ثُمَّ يَهْوِي بِنَفْسِهِ فِي النَّارِ

﴿ ٣١ — مَاجَزَاءُ الْوَالِدِ مِنْ وَلَدِهِ ﴾

عَالَ يَافِعٌ تُنْهَلُ أَتَمْلَمُ
فَظَاظَةٌ تَلَابِيبُ

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ « يَارَسُولَ اللهِ إِنَّ أَبِي أَخَذَ مَالِي » فَقَالَ لَهُ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ « اِذْهَبْ فَأْتِنِي بِأَبِيكَ » فَلَمَّا جَاءَ الشَّيْخُ قَالَ النَّبِيُّ « مَابَالُ ابْنِكَ يَشْكُوكَ أَتُرِيدُ أَنْ تَأْخُذَ مَالَهُ » فَقَالَ لَهُ « سَلْهُ يَارَسُولَ اللهِ هَلْ أُنْفِقُهُ إِلَّا عَلَى إِحْدَى عَمَّاتِهِ أَوْ خَالَاتِهِ أَوْ عَلَى نَفْسِي » فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى

ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « دَعْنَا مِنْ هٰذَا أَخْبِرْنِى عَنْ شَىْءٍ قُلْتَهُ فِى نَفْسِكَ مَا سَمِعَتْهُ أُذُنَاكَ » فَقَالَ ٱلشَّيْخُ « وَٱللهِ يَا رَسُولَ ٱللهِ مَا يَزَالُ ٱللهُ يَزِيدُنَا بِكَ يَقِيناً لَقَدْ قُلْتُ فِى نَفْسِى شَيْئاً مَا سَمِعَتْهُ أُذُنَاىَ » فَقَالَ « قُلْ فَأَنَا أَسْمَعُ » فَقَالَ :

غَذَوْتُكَ مَوْلُودًا وَعُلْتُكَ يَافِعاً
تُعَلُّ بِمَا أَجْنُو عَلَيْكَ وَتُنْهَلُ
إِذَا لَيْلَةٌ ضَافَتْ بِكَ ٱلسُّقْمَ لَمْ أَبِتْ
لِسُقْمِكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلْمَلُ
كَأَنِّى أَنَا ٱلْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِٱلَّذِى
طُرِقْتَ بِهِ دُونِى فَعَيْنَاىَ تَهْمُلُ
تَخَافُ ٱلرَّدَى نَفْسِى عَلَيْكَ وَإِنَّنِى
لَأَعْلَمُ أَنَّ ٱلْمَوْتَ وَقْتٌ مُؤَجَّلُ
فَلَمَّا بَلَغْتَ ٱلسِّنَّ وَٱلْغَايَةَ ٱلَّتِى
إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيهِ أُؤَمِّلُ

جَعَلْتَ جَزَائِى غِلْظَةً وَفَظَاظَةً
كَأَنَّكَ أَنْتَ ٱلْمُنْعِمُ ٱلْمُتَفَضِّلُ
فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِى
فَعَلْتَ كَمَا ٱلْجَارُ ٱلْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ

فَحِينَئِذٍ أَخَذَ ٱلنَّبِىُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَلَابِيبِ ٱلْوَلَدِ وَسَلَّمَهُ لِوَالِدِهِ قَائِلاً لَهُ «أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ»

﴿ ٣٢ — زَيْتُ ٱلْبِتْرُولِ ﴾

يَتَفَجَّرُ تَقْطِيرٌ أَوْفَدَ ٱلتَّنْقِيبُ
مَجِسٌّ ٱلْجِصُّ غَدْرٌ ٱلْخَزَفُ

مِنْ أَنْفَعِ ٱلزُّيُوتِ ٱلْمُسْتَعْمَلَةِ بِٱلْمَنَازِلِ وَٱلَّتِى لَاغِنَاءَ لِكَثِيرٍ مِنَ ٱلْأَهْلِينَ عَنْهَا زَيْتُ ٱلْبِتْرُولِ أَوْ زَيْتُ ٱلْحَجَرِ وَهُوَ ٱلَّذِى يَسْتَعْمِلُهُ مُعْظَمُ ٱلْأَهَالِى فِى ٱلِٱسْتِنَارَةِ وَيُعْرَفُ بِٱلْجَازِ وَهُوَ سَائِلٌ يُوجَدُ فِى بَاطِنِ ٱلْأَرْضِ بِطَبِيعَتِهِ لَهُ رَائِحَةٌ شَدِيدَةٌ مُمَيِّزَةٌ

**** *******

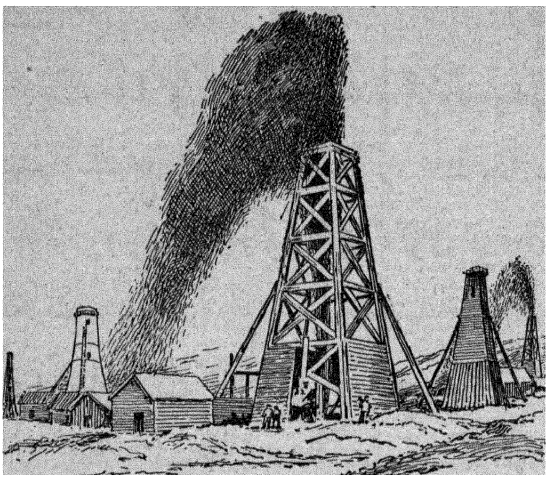

وَيُسْتَخْرَجُ إِمَّا بِالْمَصَّاتِ وَإِمَّا بِتَشَقُّقِ الْأَرْضِ فَيَتَفَجَّرُ مِنْهَا وَيَخْتَلِفُ تَرْكِيبُهُ بِاخْتِلَافِ طَبَقَاتِ الْأَرْضِ الَّتِي يُسْتَخْرَجُ مِنْهَا فَهُوَ فِي الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ غَيْرُهُ فِي بِلَادِ الْمُسْكُوفِ وَفِي رُومَانِيَا وَفِي الْهِنْدِ الشَّرْقِيَّةِ وَعَلَى شَوَاطِئِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِنَّهُ يَتَوَلَّدُ مِنْ تَحْلِيلِ مَوَادَّ نَبَاتِيَّةٍ وَحَيَوَانِيَّةٍ تَحْلِيلاً بَطِيئًا فِي الْأَرْضِ وَقِيلَ إِنَّهُ يَتَوَلَّدُ مِنْ تَقْطِيرِ الْفَحْمِ الْحَجَرِيِّ

هُنَالِكَ

وَزَيْتُ ٱلْبِتْرُولِ مَعْرُوفٌ مِنْ قَدِيمِ ٱلزَّمَانِ وَلَكِنْ لَمْ يَنْتَشِرِ ٱسْتِعْمَالُهُ إِلَّا فِي مُنْتَصَفِ ٱلْقَرْنِ ٱلتَّاسِعِ عَشَرَ بَعْدَ ٱلْوُقُوفِ عَلَى ٱلْأَمَاكِنِ ٱلَّتِي تَحْتَوِي عَلَى مَقَادِيرَ عَظِيمَةٍ مِنْهُ

وَلَمَّا شَاعَ أَنَّ ٱلْبِتْرُولَ يُوجَدُ فِي جِهَةٍ تَبْعُدُ عَنِ ٱلسُّوَيْسِ بِمِقْدَارِ ثَلَاثِمِائَةِ كِيلُو مِتْرٍ وَتُسَمَّى جَبَلَ ٱلزَّيْتِ أَوْفَدَتِ ٱلْحُكُومَةُ ٱلْمِصْرِيَّةُ سَنَةَ ١٨٨٤ مُهَنْدِسًا بِلْجِيقِيًّا عَالِمًا بِطَبَقَاتِ ٱلْأَرْضِ لِلتَّنْقِيبِ عَنْهُ فِي تِلْكَ ٱلْجِهَةِ فَبَاشَرَ ٱلْعَمَلَ مُدَّةً وَفِي سَنَةِ ١٨٨٦ خَرَجَ ٱلْبِتْرُولُ فِي مَجَسٍّ أُنْزِلَ فِي ٱلْأَرْضِ عَلَى غَوْرِ خَمْسَةٍ وَثَلَاثِينَ مِتْرًا مُتَخَلِّلًا طَبَقَاتٍ مِنَ ٱلْجِصِّ وَٱلْكِبْرِيتِ وَٱلْخَزَفِ وَخَرَجَ عَلَى هَيْئَةِ فَوَّارَةٍ مُرْتَفِعًا مِتْرَيْنِ عَنْ سَطْحِ ٱلْبَحْرِ وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ يُمْكِنُ تَحْصِيلُ نَحْوِ أَلْفَيْ لِتْرٍ مِنْهُ فِي ٱلْيَوْمِ مِنْ عَيْنٍ

واحِدَةٍ

وَيُوجَدُ بِمِصْرَ ٱلْآنَ ستُّ شَرِكَاتٍ إِنْكِلِيزِيَّةٍ تَقُومُ بِٱلْبَحْثِ عَنِ ٱلْبِتْرُولِ حَوْلَ ٱلسُّوَيْسِ وَشَوَاطِئِ ٱلْبَحْرِ ٱلْأَحْمَرِ وَقِيلَ إِنَّهَا عَثَرَتْ عَلَى عِشْرِينَ بِئْرًا إِلَى ٱلْآنَ وَبَعْضُهَا يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ نَحْوُ أَلْفِ طَنٍّ فِي ٱلْيَوْمِ

﴿ ٣٣ — بَغْدَادُ (١) ﴾

اِخْتَطَّ	اَلشَّاهِقَةُ	اَلنَّضِرَةُ	اَلسَّاسِعَةُ
قَصَبَةٌ	رِحَالٌ	الدَّعَائِمُ	تُسَوِّلُ
اَلِاضْمِحْلَالُ	اَلْغَازُونَ	بَادِيَاتٌ	تَقَوَّضَتْ

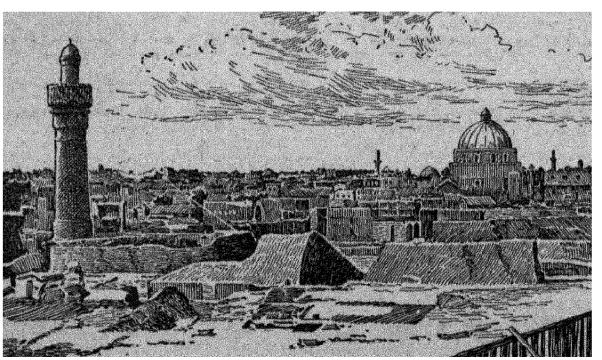

لَمَّا اسْتَقَرَّتِ الْخِلَافَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي يَدِ الْمَنْصُورِ الْعَبَّاسِيِّ فِي أَوَاسِطِ الْقَرْنِ الْهِجْرِيِّ الثَّانِي اخْتَطَّ عَلَى ضَفَّتَيْ نَهْرِ دِجْلَةَ مَدِينَةً عَظِيمَةً سَمَّاهَا بَغْدَادَ أَوْ دَارَ السَّلَامِ شَيَّدَ فِيهَا الْقُصُورَ الشَّاهِقَةَ وَالْحَدَائِقَ الْغَنَّاءَ وَالْبَسَاتِينَ النَّضِرَةَ وَعَمَّرَ الْمَسَاجِدَ الشَّاسِعَةَ الْوَاسِعَةَ حَمْدًا لِلَّهِ عَلَى مَا أَوْلَاهُ مِنَ الْغَلَبَةِ وَالنَّصْرِ وَقَدْ سَمَّى بَعْدَ ذَلِكَ نِصْفَهَا الشَّرْقِيَّ الرَّصَافَةَ وَالْغَرْبِيَّ الْكَرْخَ

أَخَذَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ بِتَوَالِي خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ عَلَيْهَا وَصَارَتْ قَصَبَةَ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ حَتَّى جَاءَ هَارُونُ الرَّشِيدُ فَأَعْلَى مَكَانَتَهَا وَجَعَلَهَا مَحَطَّ رِحَالِ الْعُلَمَاءِ وَالتُّجَّارِ وَالْقَاصِدِينَ وَأَقَامَ لِلتَّعْلِيمِ مَدَارِسَ يَؤُمُّهَا آلَافُ الطُّلَّابِ لِيَشْرَبُوا مِنْ ذَلِكَ الْمَنْهَلِ الْعَذْبِ وَبَنَى فِيهَا مَلَاجِئَ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُعْوِزِينَ يَتَمَتَّعُونَ فِيهَا بِنَعِيمٍ مُقِيمٍ بِمَا حَبَسَ عَلَيْهَا وَعَلَى الْمَدَارِسِ

مِنَ ٱلْخَيْرَاتِ وَٱلْأَمْوَالِ لِتَكُونَ ثَابِتَةَ ٱلدَّعَائِمِ لَايُزَعْزِعُهَا ظُلْمُ ٱلْمُلُوكِ اَوِ ٱسْتِبْدَادُ ٱلْأُمَرَاءِ بِمَا تُسَوِّلُهُ لَهُمُ ٱلْأَهْوَاءُ

وَمَا زَالَتْ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةُ يَنْتَشِرُ ٱلْعِزُّ بَيْنَ رُبُوعِهَا وَيَنْفَجِرُ نُورُ ٱلْعِلْمِ مِنْ عُقُولِهَا وَٱلْمَتَاجِرُ غَادِيَةٌ رَائِحَةٌ بَعْدَ ٱلرَّشِيدِ فِي أَيَّامِ ٱبْنِهِ ٱلْمَأْمُونِ وَمَنْ أَعْقَبَهُ مِنَ ٱلْخُلَفَاءِ حَتَّى أَذَّنَ مُؤَذِّنُ ٱلْفَنَاءِ عَلَيْهَا بِٱلِاضْمِحْلَالِ وَٱلِانْحِطَاطِ فَتَقَلَّبَتْ عَلَيْهَا صُرُوفُ ٱلزَّمَانِ وَٱنْتَهَبَهَا ٱلْغَازُونَ وَٱلْفَاتِحُونَ وَتَشَتَّتَ أَهْلُهَا فِي مَشَارِقِ ٱلْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا حَاضِرَاتِهَا وَبَادِيَاتِهَا وَتَقَوَّضَتْ عِمَارَتُهَا وَكَادَتْ مَعَالِمُهَا تَزُولُ حَتَّى ٱسْتَوْلَى عَلَيْهَا ٱلتُّرْكُ بِبَأْسِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ وَهِيَ إِلَى ٱلْآنَ فِي أَيْدِيهِمْ

﴿ ٣٤ — بَغْدَادُ (٢) ﴾

ٱلْبَائِدَةُ ٱلنَّزْرُ ٱلدَّارِسُ خَنْدَقٌ

جُلُّ ٱلْقَوَاعِدُ ٱلْمُفْتَرَضُ

لَمَّا اسْتَوْلَى التُّرْكُ عَلَى مَدِينَةِ بَغْدَادَ أَخَذَتِ الْحَيَاةُ تَدِبُّ فِيهَا وَالنَّاسُ يَتَوَافَدُونَ عَلَيْهَا عَسَى أَنْ تَعُودَ إِلَيْهَا مَكَانَتُهَا الْبَائِدَةُ فِي التِّجَارَةِ لِأَنَّ مَوْقِعَهَا عَلَى نَهْرِ دِجْلَةَ بِالْقُرْبِ مِنَ الْخَلِيجِ الْفَارِسِيِّ يَجْعَلُهَا مَرْكَزًا لِتَبَادُلِ خَيْرَاتِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَقَدْ بَقِيَ النَّزْرُ الْيَسِيرُ مِنْ آثَارِ مَجْدِهَا الدَّارِسِ كَقَبْرَيِ الْإِمَامَيْنِ أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ وَأَبِي مُوسَى الْكَاظِمِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَجُزْءٍ مِنَ السُّورِ الشَّرْقِيِّ الَّذِي كَانَ طُولُهُ سَبْعَةَ آلَافٍ مِنَ الْأَمْتَارِ وَارْتِفَاعُهُ نَحْوَ الثَّلَاثِينَ بَنَاهُ الْخَلِيفَةُ أَحْمَدُ النَّاصِرُ وَجَعَلَ عَلَيْهِ أَبْرَاجًا عِدَّةً وَحَاطَهُ بِخَنْدَقٍ وَاسِعٍ لِصَدِّ الْعَدُوِّ عَنْهَا وَقَدْ هَدَمَ جُلَّ هَذَا السُّورِ مِدْحَتْ بَاشَا أَحَدُ وُلَاةِ التُّرْكِ فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ عَشَرَ لِلْهِجْرَةِ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا جُزْءٌ صَغِيرٌ جَعَلُوهُ مَخْزَنًا لِلْبَارُودِ وَعَلَيْهِ كِتَابَةٌ بَاقِيَةٌ هَذَا نَصُّهَا

« بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ هٰذَا مَا أَمَرَ بِعَمَلِهِ سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا ٱلْإِمَامُ ٱلْمُفْتَرَضُ ٱلطَّاعَةِ عَلَى كَافَّةِ ٱلْأَنَامِ أَبُو ٱلْعَبَّاسِ أَحْمَدُ ٱلنَّاصِرُ لِدِينِ ٱللهِ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَخَلِيفَةُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ وَحُجَّةُ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى ٱلْخَلْقِ أَجْمَعِينَ صَلَوَاتُ ٱللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ ٱلطَّاهِرِينَ وَلَا زَالَتْ دَعْوَتُهُ ٱلْهَادِيَةُ عَلَى بِقَاعِ ٱلْحَقِّ مَنَارًا وَٱلْخَلَائِقُ لَهَا أَتْبَاعًا وَأَنْصَارًا وَطَاعَتُهُ ٱلْمُفْتَرَضَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا وَافَقَ ٱلْفَرَاغُ فِي سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ وَصَلَوَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ٱلنَّبِيِّ وَآلِهِ ٱلطَّيِّبِينَ ٱلطَّاهِرِينَ »

﴿ ٣٥ — ٱلْفَضِيلَةُ ﴾

ٱلْأَوَّابُ مَغْلُولَةٌ إِمْلَاقٌ ٱلْقِسْطَاسُ

« وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِٱلْوَالِدَيْنِ

إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا
تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَٱخْفِضْ
لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا
رَبَّيَانِي صَغِيرًا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا
صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا وَآتِ ذَا ٱلْقُرْبَى حَقَّهُ
وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ
كَانُوا إِخْوَانَ ٱلشَّيَاطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا وَإِمَّا
تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ
قَوْلًا مَيْسُورًا وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا
تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ
ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا
وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ
إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا وَلَا تَقْرَبُوا ٱلزِّنَا إِنَّهُ كَانَ
فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا وَلَا تَقْتُلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ

إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً

(القرآن الكريم)

﴿ ٣٦ — اَلْعَرَبُ وَالطَّيَرَانُ ﴾

اِسْتِشْهَادٌ اِسْتِنْبَاطٌ تَفَوُّقٌ جُثْمَانٌ

زِمِكٌّ اَلْعَنْقَاءُ قَشْعَمٌ يَطُمُّ

نَقَلَتْ إِحْدَى الْجَرَائِدِ الْفِرَنْجِيَّةِ الَّتِي تُطْبَعُ وَتُنْشَرُ

فِي ٱلْقَاهِرَةِ عَنْ كِتَابٍ عَرَبِيٍّ ٱسْمُهُ « نَفْحُ ٱلطِّيبِ مِنْ غُصْنِ ٱلْأَنْدَلُسِ ٱلرَّطِيبِ » لِمُؤَلِّفِهِ ٱلشَّيْخِ ٱلْمَقَّرِيِّ ٱلتِّلِمْسَانِيِّ ٱلْمُتَوَفَّى سَنَةَ أَلْفٍ وَوَاحِدَةٍ وَأَرْبَعِينَ هِجْرِيَّةً أَعْنِي فِي ٱلْقَرْنِ ٱلسَّابِعِ عَشَرَ لِلْمِيلَادِ أَنَّ أَوَّلَ مُخْتَرِعِ لِآلَاتِ ٱلطَّيَرَانِ هُوَ رَجُلٌ عَرَبِيٌّ يُدْعَى أَبَا ٱلْقَاسِمِ عَبَّاسَ بْنَ فِرْنَاسٍ ٱلَّذِي كَانَ طَبِيبًا لِلْخَلِيفَةِ عَبْدِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلثَّانِي مَلِكِ ٱلْأَنْدَلُسِ سَنَةَ ثَمَانِمِائَةٍ وَوَاحِدَةٍ وَعِشْرِينَ وَقَدْ جَاءَ فِي ذَلِكَ ٱلْكِتَابِ عِنْدَ ٱسْتِشْهَادِ ٱلْمُؤَلِّفِ عَلَى سَبْقِ ٱلْأَنْدَلُسِيِّينَ فِي ٱسْتِنْبَاطِ ٱلْعُلُومِ وَٱلْفُنُونِ وَتَفَوُّقِ أَذْهَانِهِمْ مَا يَأْتِي « وَمِنْ حِكَايَاتِهِمْ أَنَّ أَبَا ٱلْقَاسِمِ بْنَ فِرْنَاسٍ حَكِيمَ ٱلْأَنْدَلُسِ أَوَّلُ مَنِ ٱسْتَنْبَطَ بِٱلْأَنْدَلُسِ صِنَاعَةَ ٱلزُّجَاجِ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ وَأَوَّلُ مَنْ فَكَّ بِهَا كِتَابَ ٱلْعَرُوضِ لِلْخَلِيلِ وَأَوَّلُ مَنْ فَكَّ ٱلْمُوسِيقَا وَوَضَعَ ٱلْآلَةَ ٱلْمَعْرُوفَةَ بِٱلْمِنْقَالِ لِيَعْرِفَ ٱلْأَوْقَاتَ عَلَى غَيْرِ رَسْمٍ وَمِثَالٍ وَٱحْتَالَ

فى تَطْيِيرِ جُثْمَانِهِ وَكَسَا نَفْسَهُ الرِّيشَ وَمَدَّ لَهُ جَنَاحَيْنِ وَطَارَ فِي الْجَوِّ مَسَافَةً بَعِيدَةً وَلَكِنَّهُ لَمْ يُحْسِنِ الِاحْتِيَالَ فِي وُقُوعِهِ فَتَأَذَّى مُؤَخَّرُهُ وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الطَّائِرَ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى زِمَكِّهِ وَلَمْ يَعْمَلْ لَهُ ذَنَبًا » وَفِيهِ قَالَ مُؤْمِنُ ابْنُ سَعِيدٍ الشَّاعِرُ أَبْيَاتًا مِنْهَا

يَطُمُّ عَلَى الْعَنْقَاءِ فِي طَيَرَانِهَا
إِذَا مَا كَسَا جُثْمَانَهُ رِيحَ قَشْعَمِ

وَقِيلَ إِنَّ أَبَا فِرْنَاسٍ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَعْرِضَ اخْتِرَاعَهُ عَلَى أَهَالِي قُرْطُبَةَ اجْتَمَعَ خَلْقٌ كَثِيرٌ لِمُشَاهَدَتِهِ وَكَانَ نَجَاحُهُ قَلِيلًا لِأَنَّهُ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ الِانْتِقَالِ بِطَيَّارَتِهِ فِي الْجَوِّ بَلْ كُلُّ مَا أَمْكَنَ أَنَّهُ بَقِيَ مُرْتَفِعًا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَسَقَطَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ بَيْنَ أَصْوَاتِ الْهُتَّافِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَالضَّحِكِ

﴿ ٣٧ — اَلطَّيَرَانُ ﴾

إِطَارٌ تَمْتَطِي مَتْنٌ اَلْكَاغَدُ اَلزَّعْزَعَةُ

اَلْعِنَانُ صَهْوَةٌ اَلذَّرَائِعُ غِشَاءٌ

لِدُوَّامَةُ اَلسُّكَّانُ تَذْلِيلٌ يَتَسَنَّمُ

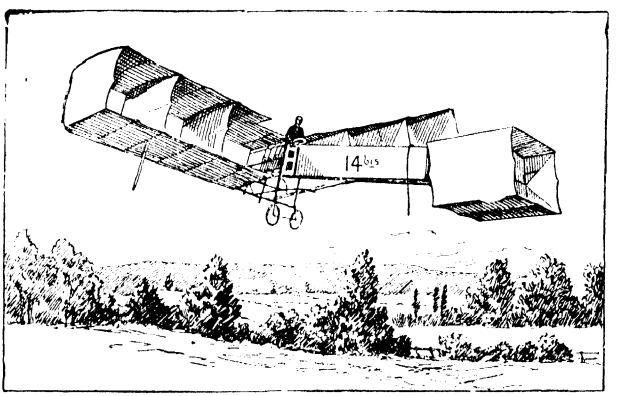

كُلُّ طِفْلٍ يَتَذَكَّرُ اَلطَّيَّارَةَ اَلصَّغِيرَةَ اَلَّتِي طَالَمَا طَيَّرَهَا فِي اَلْفَضَاءِ وَجَرَى بِهَا اِتِّقَاءَ سُقُوطِهَا إِذَا مَارَآهَا تَتَاقَلُ لِيَخْلُقَ لَهَا بِجَزْيِهِ خِفَّةً وَقُوَّةً تَمْتَطِي بِهِمَا مَتْنَ اَلْهَوَاءِ اَلَّذِي يَدْفَعُهَا بِشِدَّةِ مُقَاوَمَتِهِ إِلَى اَلسَّمَاءِ

هَذِهِ الطَّيَّارَةُ الصَّغِيرَةُ تَتَرَكَّبُ مِنْ إِطَارٍ مِنَ الْقَصَبِ أَوِ الْخَشَبِ الرَّفِيعِ عَلَيْهِ كِسَاءٌ مِنَ الْكَاغَدِ أَوِ الْحَرِيرِ السَّخِيفِ وَطَرَفَاهُ مُتَّصِلَانِ بِخَيْطٍ يَزِيدُ طُولُهُ كَثِيراً عَلَى طُولِ الطَّيَّارَةِ نَفْسِهَا وَعَلَى جَانِبَيْهَا جَنَاحَانِ مِنْ شَرَائِطَ مِنَ الْوَرَقِ يَمْنَعَانِ تَذَبْذُبَهَا وَاضْطِرَابَهَا ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَفِي طَرَفِهَا السُّفْلِيِّ ذَيْلٌ مِثْلُ الْجَنَاحَيْنِ يَقِيهَا الزَّعْزَعَةَ وَالِانْقِلَابَ وَمَنْ شَاءَ أَنْ يُطَيِّرَ طَيَّارَتَهُ رَبَطَ الْخَيْطَ الْوَاصِلَ بَيْنَ طَرَفَيْهَا بِسِلْكٍ طَوِيلٍ مَلْفُوفٍ عَلَى مِسْلَكَةٍ ثُمَّ أَرْخَى لَهَا الْعِنَانَ وَاجْتَذَبَهَا نَحْوَهُ بِسُرْعَةٍ فَيَلْطِمُهَا الْهَوَاءُ وَهِيَ مَائِلَةٌ عَلَيْهِ فَتَصْعَدُ فِيهِ وَتَمْتَطِي صَهْوَتَهُ وَكُلَّمَا أَطْلَقَ لَهَا الْعِنَانَ ابْتَعَدَتْ وَارْتَقَتْ إِلَى عِنَانِ السَّمَاءِ

بِهَذِهِ الذَّرَائِعِ نَفْسِهَا تَذَرَّعَ الْعُلَمَاءُ فِي اخْتِرَاعِ مَرَاكِبِ الْهَوَاءِ فَجَعَلُوا لِلْمَرْكَبِ سَطْحاً أَوْ سَطْحَيْنِ

مِنْ غِشَاءٍ مَتِينٍ مَشْدُودٍ عَلَى إِطَارٍ مُعْتَرِضٍ مِنْ مَعْدِنٍ صُلْبٍ خَفِيفٍ هُوَ ٱلْآلُومِنْيُمُ وَرَكَّبُوا فِي وَسَطِهِ آلَةً خَفِيفَةَ ٱلْحَمْلِ شَدِيدَةَ ٱلْقُوَّةِ تُدَوِّرُ دُوَّامَةً مَتِينَةً فِي أَحَدِ طَرَفَيِ ٱلْمَرْكَبِ وَذَيَّلُوهُ بِسَطْحٍ يُؤَثِّرُ فِيهِ تَأْثِيرَ ٱلسُّكَّانِ فِي ٱلسَّفِينَةِ لِكَيْمَا يَتَّجِهَ وَيَسِيرَ وَفْقَ رَغْبَةِ رَاكِبِهِ

وَلَقَدْ ذَاعَ فِي مَشَارِقِ ٱلْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا خَبَرُ تَذْلِيلِ ٱلْهَوَاءِ وَجَوْبِهِ بِتِلْكَ ٱلْآلَاتِ ٱلطَّائِرَةِ فَٱهْتَزَّ ٱلْكَوْنُ طَرَبًا وَتَسَابَقَ ٱلنَّاسُ إِلَى مَيَادِينِ ٱلطَّيَرَانِ لِيُشَاهِدُوا ٱلْإِنْسَانَ ٱلْمَخْلُوقَ مِنَ ٱلطِّينِ يَتَسَنَّمُ ٱلْجَوَّ وَيَرْقَى فِيهِ كَأَنَّهُ رُوحٌ مِنَ ٱلْأَرْوَاحِ ٱللَّطِيفَةِ كَمَا شَاهَدَ أَهْلُ مِصْرَ مِنْ بَدِيعِ آيَاتِ ٱلطَّيَرَانِ فِي مَيْدَانِ مِصْرَ ٱلْجَدِيدَةِ مَا ٱسْتَوْقَفَ ٱلْأَنْفَاسَ فِي ٱلصُّدُورِ وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ تُرَى فِيهِ مَرَاكِبُ ٱلْهَوَاءِ مُتَدَاوَلَةً مُنْتَشِرَةً كَٱنْتِشَارِ مَرَاكِبِ ٱلْأَرْضِ فَيَصْدُقُ مَثَلُ ٱلْعَوَامِّ «ٱبْنُ آدَمَ طَيِّرٌ وَلَيْسَ

لطير»

﴿ ٣٨ – أَعْرَابُ ٱلْبَادِيَة (١) ﴾

بَهِيمُ	مطَايَا	اَلسُّهُولُ	لَظًى
اَلْعَيْبُ	تَوَغَّلَ	اَلْخُضرُ	فِطْرَةٌ
خُشُونَةٌ	اَلْأَفْلَاكُ	عِقَالٌ	

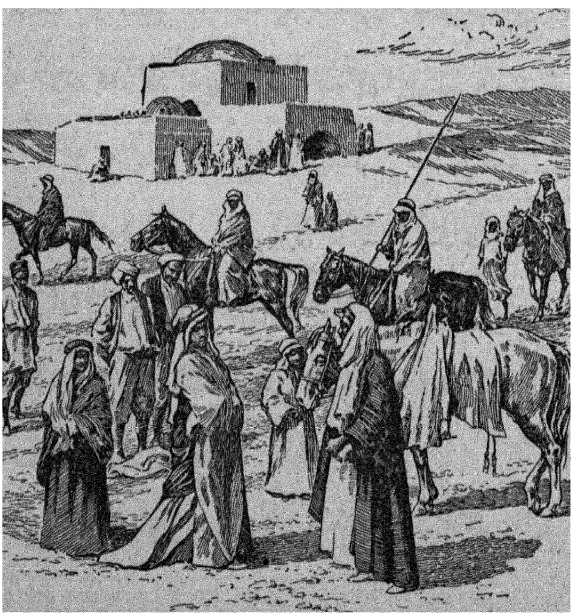

إِنَّ أَعْرَابَ ٱلْبَادِيَةِ قَوْمٌ رَحَّالَةٌ يَسْكُنُونَ بُيُوتًا مِنَ ٱلشَّعْرِ وَلَا يَبْنُونَ بَيْتًا ثَابِتًا لِأَنَّهُمْ يَهِيمُونَ فِي كُلِّ وَادٍ حَيْثُ طَابَ لَهُمُ ٱلْعَيْشُ ذَاهِبِينَ بِبُيُوتِهِمْ عَلَى ظُهُورِ مَطَايَاهُمْ يَنْصِبُونَهَا حَيْثُ يَبْغُونَ ٱلْإِقَامَةَ وَهُمْ يُعَوِّلُونَ فِي مَعِيشَتِهِمْ عَلَى مَاشِيَتِهِمُ ٱلَّتِي يَغْذُونَهَا بِمَا تُنْبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنْ كَلَإِ ٱلطَّبِيعَةِ وَيَغْتَذُونَ بِلُحُومِهَا وَأَلْبَانِهَا وَيَتَّخِذُونَ مَازَادَ مِنْهَا وَمِنْ صُوفِهَا وَشَعْرِهَا وَوَبَرِهَا لِسَدِّ مَا بَقِيَ مِنْ حَوَائِجِهِمْ مِنْ مَطْعَمٍ وَمَلْبَسٍ وَمَسْكَنٍ وَٱكْتِسَابِ دِرْهَمٍ يَسْتَعِينُونَ بِهِ لَدَى ٱلْحَاجَةِ

وَأَكْثَرُ مَا يَسْكُنُونَ ٱلسُّهُولَ يُرَاقِبُونَ فِيهَا سَيْرَ ٱلْفُصُولِ فَإِذَا ٱشْتَدَّ بِهِمْ لَظَى ٱلْحَرِّ طَلَبُوا ٱلْأَنْهُرَ وَمَجَارِيَ ٱلْمَاءِ وَٱلْأَرَاضِيَ ٱلنَّضِرَةَ

وَإِذَا نَزَلَ ٱلْغَيْثُ وَٱرْتَوَتِ ٱلْأَرْضُ وَأَنْبَتَتْ رَبِيعَهَا تَوَغَّلُوا فِي ٱلْقِفَارِ مُسْتَصْحِبِينَ مَاشِيَتَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ وَهُمْ

**** *** ***

عَلَى كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ لَا يَنْقَطِعُونَ عَنْ مُخَالَطَةِ الْحَضَرِ لِبَيْعِ مَالَدَيْهِمْ وَشِرَاءِ مَايَشْتَهُونَ مِنْ طَعَامٍ وَلِبَاسٍ

وَالْبَدْوُ مِنْ أَحْرَصِ النَّاسِ عَلَى مَا وَرِثُوهُ مِنَ الْعُرْفِ وَالْعَادَةِ إِذْ مَافَتِئُوا عَلَى فِطْرَتِهِمْ مُتَّصِفِينَ بِمَا اتَّصَفُوا بِهِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ وَمَعَ أَنَّ الْبَدَوِيَّ مَوْصُوفٌ بِخُشُونَةِ الطِّبَاعِ وَالْعِنَادِ وَالْغِلْظَةِ فَهُوَ جَامِعٌ لِرِقَّةِ الْإِحْسَاسِ وَدِقَّةِ الْإِدْرَاكِ وَلَا يَزَالُ بَيْنَ الْبَدْوِ حَتَّى الْآنَ بَقِيَّةٌ يَدِينُونَ بِدِينِ أَسْلَافِهِمْ وَيَعْبُدُونَ الْحِجَارَةَ وَالْأَشْجَارَ وَالْأَفْلَاكَ

وَمَلَابِسُ الْبَدْوِ قَمِيصٌ طَوِيلٌ مَشْدُودٌ بِحَبْلٍ عَلَى الْوَسَطِ وَعَلَى الرَّأْسِ الْمَنَادِيلُ الْكُوفِيَّةُ يُثَبِّتُونَهَا بِعِقَالٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّخِذُ الْعَبَاءَةَ فَوْقَ الْقَمِيصِ

(تاريخ العرب وآدابهم لفنديك)

﴿ ٣٩ — أَعْرَابُ ٱلْبَادِيَةِ (٢) ﴾

تَخْوَةٌ	أَنَفَةٌ	اَلْحَمِيَّةُ	شُبُوبٌ
يُغِيرُ	قَوَافِلُ	اَلرُّمْحُ	مَعْقُودَةٌ
اَلْعُرَفَاءُ	اَلْفَيْصَلُ	اَلْفَارُوقُ	

أَمَّا ٱلْبَدَوِيَّاتُ فَهُنَّ فِي ٱلْبَادِيَةِ أَكْثَرُ عَدَدًا مِنَ

ٱلرِّجَالِ وَبِالطَّبْعِ أَلْيَنُ جَانِباً وَأَرَقُّ طِبَاعاً وَلَسْنَ مَعَ ذَلِكَ دُونَ ٱلرِّجَالِ نَخْوَةً وَشَهَامَةً وَأَخْلَاقُهُنَّ بِٱلْجُمْلَةِ حَمِيدَةٌ وَخَيْرُ مَا يُزَيِّنُهُنَّ عِزَّةُ ٱلنَّفْسِ وَأَنَفَةُ ٱلْحَمِيَّةِ وَقِيَامُهُنَّ مَقَامَ ٱلرِّجَالِ فِي أَكْثَرِ ٱلْأَعْمَالِ

وَٱلثَّأْرُ عِنْدَ ٱلْبَدْوِ مَشْهُورٌ مِنْ قَبْلِ ٱلْإِسْلَامِ وَلَا يَزَالُ بَاقِياً حَتَّى ٱلْآنَ وَكَثِيراً مَا يَكُونُ ٱلسَّبَبَ فِي شُبُوبِ ٱلْعَدَاوَةِ وَٱلْحَرْبِ بَيْنَ قَبِيلَةٍ وَأُخْرَى إِلَّا أَنَّهُ يُعَوَّضُ عَنِ ٱلدَّمِ بِٱلدِّيَةِ فِي بَعْضِ ٱلْأَحْيَانِ

وَمِنَ ٱلْبَدْوِ عَدَدٌ لَيْسَ بِقَلِيلٍ يَتَعَاطَوْنَ ٱلسَّلْبَ وَٱلنَّهْبَ وَيُغِيرُونَ عَلَى قَوَافِلِ ٱلْحُجَّاجِ يَسْلُبُونَهَا أَوْ يُلْزِمُونَ ٱلرَّكْبَ بِدَفْعِ فِدْيَةٍ يَفْتَدُونَ بِهَا أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَفِي غَزَوَاتِهِمْ يَسْتَعْمِلُونَ ٱلسَّيْفَ وَٱلرُّمْحَ وَأَكْثَرُ اعْتِمَادِهِمْ عَلَى ٱلرِّمَاحِ وَقَدْ شَاعَ ٱسْتِعْمَالُ ٱلْبُنْدُقِيَّاتِ عِنْدَهُمْ فِي هٰذِهِ ٱلْأَزْمَانِ

أَمَّا ٱلْحُكَّامُ فِي ٱلْبَادِيَةِ فَمَوْكُولَةٌ إِلَى ٱلشُّيُوخِ وَٱلْأُمَرَاءِ وَهِيَ تُمَثِّلُ مَبَادِئَ ٱلْحُكْمِ ٱلْفِطْرِيِّ فَٱلْقُوَّةُ لِمَنْ غَلَبَ وَتَتْبَعُهَا ٱلْمُرُوءَةُ فَلَيْسَ لَهُمْ قَوَانِينُ مَكْتُوبَةٌ وَمَجَالِسُ مَعْقُودَةٌ وَمَعَ ذَلِكَ يَقُومُ ٱلْعُرْفُ أَحْيَانًا مَقَامَ ٱلْقَانُونِ ٱلنَّافِذِ فَيَرْجِعُونَ بِٱلتَّقَاضِي إِلَيْهِ وَإِنِ ٱخْتَلَفُوا فِي أَمْرٍ أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ رَفَعُوهُ إِلَى ٱلْعُرَفَاءِ وَٱلْعَرِيفُ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ ٱلْقَاضِي يَحْكُمُ بِمَا عَرَفَهُ بِٱلِٱخْتِبَارِ مِمَّا جَرَى عَلَيْهِ ٱلْعَرَبُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَهُوَ يَقُومُ مَقَامَ ٱلْفَيْصَلِ أَوِ ٱلْفَارُوقِ فِي ٱلْعَهْدِ ٱلْقَدِيمِ وَلَهُ بَيْنَهُمْ مَنْزِلَةٌ كُبْرَى أَمَّا ٱللُّغَةُ فَقَدْ تَطَرَّقَ إِلَيْهَا ٱلْفَسَادُ وَٱسْتَوْلَى عَلَيْهَا ٱلِٱنْحِطَاطُ وَلَوْ أَنَّ ٱلْكَلَامَ فِي ٱلْعَامَّةِ ٱلْبَدْوِ أَصَحُّ مِنْهُ فِي سَائِرِ ٱلْبِلَادِ ٱلَّتِي غَلَبَتْ فِيهَا ٱللُّغَةُ ٱلْعَرَبِيَّةُ فَٱللَّفْظُ أَضْبَطُ وَٱلْكَلَامُ نَقِيٌّ مِنْ خَلِيطِ ٱلْأَلْفَاظِ ٱلْأَعْجَمِيَّةِ

﴿ ٤٠ — نُكْرَانُ الْجَمِيلِ ﴾

الْتَّجْدِيفُ أَشْرَفَ تَدَارَكَ غَشْيَةٌ
تَبَجُّحٌ يُصِمُّ أَلِيمٌ جُحُودٌ
زَوْرَقٌ

كَانَ أَمِيرٌ هِنْدِيٌّ مُغْرَمًا بِالتَّجْدِيفِ وَاتَّفَقَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنْ أَوْقَعَهُ سُوءُ حَظِّهِ فِي النَّهْرِ فَأَشْرَفَ عَلَى الْغَرَقِ لَوْلَا أَنَّ عَبْدًا تَدَارَكَهُ وَأَلْقَى بِنَفْسِهِ فِي الْبَحْرِ وَرَاءَهُ وَأَمْسَكَ بِهِ وَحَمَلَهُ إِلَى الشَّاطِئِ وَهُوَ فِي غَشْيَةٍ مِنَ الرُّعْبِ وَمِنَ الْمَاءِ الَّذِي ابْتَلَعَهُ وَلَمَّا أَفَاقَ أَرْسَلَ فِي إِحْضَارِ مَنْ نَجَّاهُ فَإِذَا هُوَ عَبْدٌ فَقَالَ لَهُ الْأَمِيرُ « كَيْفَ تَجْرُؤُ أَنْ تَمَسَّ سَيِّدَكَ الطَّاهِرَ الْمُقَدَّسَ بِتِلْكَ الْيَدِ النَّجِسَةِ الذَّلِيلَةِ » فَقَالَ الْعَبْدُ « إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ يَا مَوْلَايَ لِأُنْقِذَكَ مِنَ الْغَرَقِ » فَقَالَ الْأَمِيرُ « لَقَدْ لَوَّثْتَ بَدَنِي أَيُّهَا الْعَبْدُ الْوَضِيعُ وَلَيْسَ لَكَ عِنْدِي إِلَّا الْإِعْدَامُ جَزَاءً

تُبَجِّحِكَ » وَبَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ قَصِيرَةٍ خَرَجَ ٱلْأَمِيرُ يُجَدِّفُ كَعَادَتِهِ وَحَاوَلَ ٱلِانْتِقَالَ مِنْ زَوْرَقٍ إِلَى آخَرَ فَهَوَى بَيْنَ ٱلزَّوْرَقَيْنِ وَلَمْ يَسْمَعْ أَحَدٌ لِإِنْقَاذِهِ فَصَاحَ وَٱسْتَغَاثَ وَلَا مُجِيبَ وَلَا مُغِيثَ وَلَكِنَّ صَوْتًا رَنَّ فِي أُذُنَيْهِ حَتَّى كَادَ يُصِمُّهُمَا وَهُوَ يَقُولُ « هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ بَعْدَ عَمَلٍ مِنْكَ قَدْ فَاتَ فَذُقْ كَأْسَ ٱلْمَمَاتِ » فَقَذَفَهُ ٱلْيَمُّ وَٱبْتَلَعَهُ ٱلْبَحْرُ وَمَاتَ غَرِيقًا يَلْقَى عَذَابَهُ مِنْ خَالِقِ تِلْكَ ٱلنَّفْسِ ٱلْبَرِيئَةِ ٱلَّتِي قَتَلَهَا بِجُحُودِهِ وَكُفْرَانِهِ

﴿ ٤١ — تَنَازُعُ ٱلْبَقَاءِ ﴾

خَافِقَةٌ تَلْعَةٌ كِنٌّ مَرْبِضٌ

مَذْوِدٌ سُوقَةٌ نَجْعَةٌ ٱلرُّوَّادُ

أَوْمَضَ دَحَرَ جَنْدَلَ

إِذَا نَظَرَ ٱلْعَاقِلُ فِيمَا حَوْلَهُ نَظَرَ ٱلْحَكِيمِ رَأَى أَعْلَامَ ٱلْحَرْبِ خَافِقَةً فَوْقَ كُلِّ نَبْتَتَيْنِ فِي تَلْعَةٍ وَفَوْقَ كُلِّ

طَائِرَيْنِ فِي كِنٍّ وَكُلِّ شَاتَيْنِ عَلَى مَرْبِضٍ وَكُلِّ جَوَادَيْنِ عَلَى مَذْوِدٍ وَبَيْنَ جَمِيعِ الطَّبَقَاتِ فِي الْهَيْئَةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ عُلَمَاءَ وَجُهَلَاءَ سُوقَةً وَأَعْيَانًا مُلُوكًا وَعَبِيدًا أَغْنِيَاءَ وَفُقَرَاءَ مُتَمَدِّنِينَ وَمُتَوَحِّشِينَ رِجَالًا وَنِسَاءً كِبَارًا وَصِغَارًا بَلْ بَيْنَ الْأَدْيَانِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْآرَاءِ الْفَلْسَفِيَّةِ وَالْمَذَاهِبِ الْعِلْمِيَّةِ وَبَيْنَ اللُّغَاتِ وَالْعَادَاتِ وَالِاصْطِلَاحَاتِ بَلْ بَيْنَ الْعَوَاطِفِ وَالْمَدَارِكِ فَالْوُجُودُ كُلُّهُ حَرْبٌ فِي حَرْبٍ فِي حَرْبٍ

وَإِذَا أَعَدْنَا النَّظَرَ فِي تَارِيخِ الدُّوَلِ رَأَيْنَا حَلَقَاتِ التَّنَازُعِ مُتَوَالِيَةً وَالدُّوَلَ فِي صُعُودٍ وَهُبُوطٍ

فَفِي فَجْرِ التَّارِيخِ كَانَتِ الدَّوْلَةُ الْمِصْرِيَّةُ قَابِضَةً عَلَى زِمَامِ الْأَحْكَامِ فِي الْعَالَمِ الْمُتَمَدِّنِ وَكَانَتْ مَدَائِنُهَا وَأَسْوَاقُهَا وَمَدَارِسُهَا كَعْبَةَ الْقَصَّادِ وَنُجْعَةَ الرُّوَّادِ وَظَلَّتْ رَبَّةَ الْمَمَالِكِ وَالْأَمْصَارِ حَتَّى بَرَزَتْ إِلَى عَالَمِ

ٱلْوُجُود ٱلدَّوْلَةُ ٱلْأَشُورِيَّةُ ٱلَّتِي نَشَأَتْ فِي نِينَوَى وَٱمْتَدَّتْ شَرْقًا وَغَرْبًا وَشَمَالًا وَجَنُوبًا حَتَّى ٱحْتَكَّتْ بِالدَّوْلَةِ ٱلْمِصْرِيَّةِ فَأَوْمَضَ بَيْنَهُمَا شَرَرُ ٱلْحَرْبِ وَٱسْتَعَرَتْ نِيرَانُ ٱلْمَعَارِكِ حَتَّى ٱنْجَلَتْ عَنْ فَوْزِ ٱلْأَشُورِيِّينَ فَأَجْلَوْهُمْ عَنْ رُبُوعِ آسِيَا وَحَلُّوا مَحَلَّهُمْ إِلَى نُهُوضِ ٱلْمَادِيِّينَ بِقِيَادَةِ كِيكْسَارِسَ فَدَحَرَ ٱلْأَشُورِيِّينَ وَحَلَّ مَحَلَّهُمْ وَخَلَفَهُ فِي سِيَادَةِ ٱلْمَشْرِقِ خُلَفَاؤُهُ إِلَى ظُهُورِ ٱلْإِسْكَنْدَرِ ٱلْكَبِيرِ ٱلَّذِي ٱنْدَفَعَ مِنْ وَرَاءِ ٱلدَّرْدَنِيلِ ٱنْدِفَاعَ ٱلسَّيْلِ إِلَى ٱلْفَرِيسَةِ وَهَبَطَ عَلَى أَقَالِيمِ آسِيَا وَإِفْرِيقِيَّةَ هُبُوطَ ٱلْكَوَاسِرِ عَلَى صِغَارِ ٱلطُّيُورِ فَجَنْدَلَ أَبْطَالَهَا وَدَوَّخَ أَمْصَارَهَا وَتَسَنَّمَ عُرُوشَهَا وَأَجْهَزَ عَلَى مَمَالِكِ مِصْرَ وَفَارِسَ وَصُورَ وَغَيْرِهَا وَبَسَطَ ظِلَّهُ عَلَى ٱلْأَقَالِيمِ ٱلْمُمْتَدَّةِ مِنَ ٱلْكَنَجِ إِلَى ٱلنِّيلِ وَمِنْ نَجْدٍ إِلَى ٱلدَّانُوبِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ ٱنْقَسَمَتْ مَمْلَكَتُهُ ٱلْوَاسِعَةُ ٱلنِّطَاقِ إِلَى أَرْبَعِ دُوَيْلَاتٍ مِنْهَا سُورِيَةُ وَمِصْرُ وَسَاد

الأُولَى الأَنَاطِخَةُ وَالثَّانِيَةَ البَطَالِسَةُ وَحُرُوبُهَا تُحَاكِي حُرُوبَ الوَرْدَتَيْنِ فِي تَارِيخِ إِنْكِلْتِرَا وَلَازَالَتَا فِي كَرٍّ وَفَرٍّ إِلَى انْتِهَاءِ مَجْرَاهُمَا التَّارِيخِيِّ فِي حِجْرِ الدَّوْلَةِ الرُّومَانِيَّةِ الَّتِي الْتَهَمَتِ الْمَمَالِكَ الْمُجَاوِرَةَ لَهَا الْتِهَامَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ الْجَدَاوِلَ الْجَارِيَةَ إِلَيْهِ

﴿ ٤٢ – الخَلِيفَةُ وَرَئِيسُ الشُّرْطَةِ ﴾

الشُّرْطَةُ نُدَمَاءُ أَيْقَنَ مُتَكَفِّنٌ
مُتَحَنِّطٌ النِّطْعُ اسْتَدْنَى خَلَعَ
أُفِيضَ زُلْزِلَ الضَّوْضَاءُ

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَالِكٍ كُنْتُ أَتَوَلَّى الشُّرْطَةَ لِلْخَلِيفَةِ الْمَهْدِيِّ وَكَانَ يَبْعَثُ إِلَيَّ فِي نُدَمَاءِ وَلَدِهِ الْهَادِي أَنْ أَضْرِبَهُمْ وَأَحْبِسَهُمْ صِيَانَةً لِلْهَادِي عَنْهُمْ فَيَبْعَثُ إِلَيَّ الْهَادِي يَسْأَلُنِي الرِّفْقَ بِهِمْ وَالتَّخْفِيفَ فِي أَمْرِهِمْ فَلَا أَلْتَفِتُ إِلَى ذَلِكَ وَأَمْضِي لِمَا يَأْمُرُ بِهِ الْمَهْدِيُّ فَلَمَّا وَلِيَ

ٱلْهَادِى ٱلْخِلَافَةَ أَيْقَنْتُ بِٱلتَّلَفِ فَبَعَثَ إِلَىَّ يَوْمًا فَحَضَرْتُ وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ مُتَكَفِّنًا مُتَحَنِّطًا وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ وَٱلنِّطْعُ وَٱلسَّيْفُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ «لَا سَلَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ أَتَذْكُرُ يَوْمًا بَعَثْتُ إِلَيْكَ فِى أَمْرِ ٱلْخِزَامِيِّ لَمَّا أَمَرَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِضَرْبِهِ فَلَمْ تُجِبْنِى وَفِى فُلَانٍ وَفُلَانٍ » وَجَعَلَ يُعَدِّدُ نُدَمَاءَهُ « فَلَمْ تَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِى » قُلْتُ « نَعَمْ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَفَتَأْذَنُ أَنْ أَتَكَلَّمَ » قَالَ « نَعَمْ » قُلْتُ « أَنْشُدُكَ ٱللَّهَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَسُرُّكَ أَنَّكَ وَلَّيْتَنِى مَا وَلَّانِى أَبُوكَ وَأَمَرْتَنِى بِأَمْرٍ فَبَعَثَ إِلَىَّ بَعْضُ وَلَدِكَ بِأَمْرٍ يُخَالِفُ أَمْرَكَ فَأَتَّبَعْتُ أَمْرَهُ وَعَصَيْتُ أَمْرَكَ » قَالَ « لَا » قُلْتُ « فَكَذَلِكَ أَنَا لَكَ وَكَذَلِكَ كُنْتُ لِأَبِيكَ » فَٱسْتَدْنَانِى فَقَبَّلْتُ يَدَهُ فَأَمَرَ بِخَلْعٍ أُفِيضَتْ عَلَىَّ وَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ وَصِرْتُ إِلَى مَنْزِلِى مُفَكِّرًا فِى أَمْرِهِ وَأَمْرِى وَخِفْتُ إِنْ حَدَّثَ ٱلْقَوْمَ

بالأمر الذى عصيته فيه أن يزيلوه عن رأيه فىّ وإنى لجالس وبين يدىّ خبز وأنا أسخنه وأطعمه الصبية حتى توهمت أن الدنيا قد اقتلعت وزلزلت من شدة وقع حوافر الخيل وكثرة الضوضاء وإذا الباب قد فتح وإذا الخدم قد دخلوا وأمير المؤمنين فى وسطهم فلما رأيته وثبت من مجلسى فقال « خفت يا عبد الله أن يسبق إلى قلبك سوء الظن بأعدائك فيزيلون ما حسن من رأيى فيك فصرت إلى منزلك لأؤانسك وأعلمك أن الوحشة قد زالت فلا تستوحش »

(العقد الفريد للملك السعيد)

﴿ ٤٣ — التحذير من هوى النفس ﴾

محض عذل أمارة نذير
قرى محتشم أوقر الكتم
جماح يصم سائمة مخمصة

اَلتُّخَمُ عُقْمٌ حِمْيَةٌ نَافِلَةٌ

مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ

إِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْعُذَّالِ فِي صَمَمِ

إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذَلٍ

وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نُصْحٍ عَنِ التُّهَمِ

فَإِنَّ أَمَّارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظَتْ

مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ

وَلَا أَعَدَّتْ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قِرَى

ضَيْفٍ أَلَمَّ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمِ

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أُوَقِّرُهُ

كَتَمْتُ سِرًّا بَدَا لِي مِنْهُ بِالْكَتَمِ

مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا

كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الْخَيْلِ بِاللُّجُمِ

فَلَا تَرُمْ بِالْمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا

إنَّ ٱلطَّعامَ يُقَوِّى شَهْوَةَ ٱلنَّهِمِ
وَٱلنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى
حُبِّ ٱلرَّضاعِ وَإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ
فَٱصْرِفْ هَوَاهَا وَحاذِرْ أنْ تُوَلِّيَهُ
إنَّ ٱلْهَوَى مَاتَوَلَّى يُصْمِ أوْ يَصِمِ
وَرَاعِهَا وَهْىَ فِى ٱلْأعْمَالِ سَائِمَةٌ
وَإنْ هِىَ ٱسْتَحْلَتِ ٱلْمَرْعَى فَلَا تَسِمِ
كَمْ حَسَّنَتْ لَـذَّةً لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً
مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أنَّ ٱلسُّمَّ فِى ٱلدَّسَمِ
وَٱخْشَ ٱلدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبَعٍ
فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ ٱلتُّخَمِ
وَٱسْتَفْرِغِ ٱلدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ ٱمْتَلَأَتْ
مِنَ ٱلْمَحَارِمِ وَٱلْزَمْ حِمْيَةَ ٱلنَّدَمِ
وَخَالِفِ ٱلنَّفْسَ وَٱلشَّيْطَانَ وَاعْصِهِمَا

وَإِنْ هُمَا مَحَّضَاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِمِ
وَلَا تُطِعْ مِنْهُمَا خَصْمًا وَلَا حَكَمًا
فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَصْمِ وَالْحَكَمِ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَوْلٍ بِلَا عَمَلٍ
لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلًا لِذِي عُقُمِ
أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ لَكِنْ مَا ائْتَمَرْتَ بِهِ
وَمَا اسْتَقَمْتَ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ
وَلَا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ نَافِلَةً
وَلَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ

(البردة للبوصيرى)

﴿ ٤٤ — مَصْنَعُ الْجِسْمِ ﴾

اَلرَّبَاعِيَاتُ النَّوَاجِذُ الْمَرِئُ اللُّعَابُ
اَلْإِزْدِرَادُ زِقُّ مَعْقُوفٌ الْمَصِيرُ
الْمَعَا

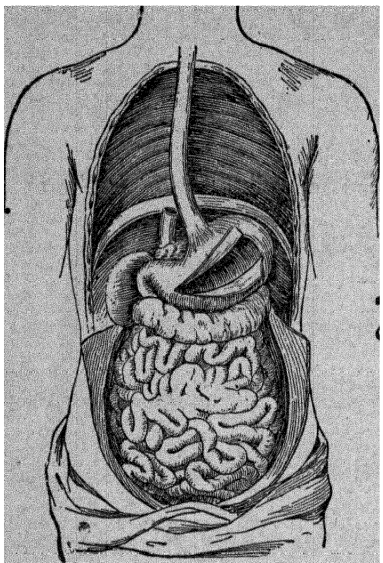

جِسْمُ الْإِنْسَانِ دَائِمُ الْحَرَكَةِ ظَاهِراً وَبَاطِناً لَا يَقْعُدُ عَنْ أَدَاءِ أَعْمَالِهِ الَّتِي تَقُومُ بِهَا الْحَيَاةُ وَلَكِنْ هَذِهِ الْحَرَكَةَ تَبْرِيهِ وَتُفْقِدُهُ شَيْئاً مِنْ مَادَّتِهِ فَيَحْتَاجُ دَائِماً إِلَى تَجْدِيدِ مَا فَقَدَ وَتَعْوِيضِهِ فِي مَصْنَعٍ مِنَ الْمَصَانِعِ كَمَا يَحْصُلُ فِي سَائِرِ الْعُدَدِ الْآلِيَّةِ

وَيَخْتَلِفُ الْجِسْمُ عَنْ هَذِهِ الْعُدَدِ بِأَنَّهُ يَحْمِلُ مَصْنَعَهُ فِي جَوْفِهِ يُجَدِّدُ بِهِ مَادَّتَهُ كُلَّ لَحْظَةٍ بِغَيْرِ تَوَانٍ أَوْ بَطَالَةٍ وَيَزِيدُ عَلَيْهَا فِي حَدَاثَةِ السِّنِّ قَدْراً يُنَاسِبُ حَالَةَ نَمَائِهِ وَهَذَا الْمَصْنَعُ مِنْ أَدَقِّ الْمَصَانِعِ وَأَبْدَعِهَا تَكْوِينٌ

وَتَرْكِيباً يُحِيلُ صُنُوفَ ٱلْغِذَاءِ مِنْ نَبَاتٍ وَلَحْمٍ وَشَحْمٍ وَسَائِلٍ إِلَى لَحْمٍ وَدُهْنٍ وَعِظَامٍ وَدَمٍ خَالِصٍ وَيَطْرَحُ ثُفْلَهَا ٱلْفَاسِدَ مِنْ مَجَارٍ وَمَسَارِبَ كَيْلاَ يَبْقَى فِي ٱلْجِسْمِ فَسَادٌ

يَدْخُلُ ٱلْغِذَاءُ فِي ٱلْفَمِ فَتَقْضَمُهُ ٱلرَّبَاعِيَاتُ وَتُمَزِّقُهُ ٱلأَنْيَابُ وَتَطْحَنُهُ ٱلنَّوَاجِذُ وَيُؤَثِّرُ فِيهِ ٱللُّعَابُ وَيُحِيلُهُ إِلَى عَجِينَةٍ مَائِعَةٍ سَهْلَةِ ٱلاِزْدِرَادِ فِي ٱلْمَرِيءِ ٱلَّذِي تَجْرِي فِيهِ إِلَى أَنْ تَدْخُلَ ٱلْمَعِدَةَ فَتَخْتَلِطَ بِعَصِيرِهَا وَتَمْتَزِجَ بِهِ تَمَامَ ٱلاِمْتِزَاجِ لِأَنَّ جَوْفَ ٱلْمَعِدَةِ فِي حَرَكَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ تُقَلِّبُ ٱلطَّعَامَ وَٱلْعَصِيرَ فَيَتَّحِدَانِ وَيَسْتَحِيلُ ٱلطَّعَامُ إِلَى مَادَّةٍ مَائِعَةٍ لاَ تُشْبِهُ أَصْلَ جَوْهَرِهَا وَٱلْمَعِدَةُ مَمْدُودَةٌ عَلَى عَرْضِ ٱلْبَطْنِ وَهِيَ شِبْهُ زِقٍّ صَغِيرٍ فَمُهَا فِي ٱلْيَسَارِ يَضِيقُ مِنْ فَوْقُ لِيَتَّصِلَ بِٱلْمَرِيءِ وَبِطَانَتُهَا تَحْتَوِي عَلَى غِشَاءٍ يُحَاكِي ٱلْقَطِيفَةَ وَطَرَفُهَا ٱلأَيْمَنُ مَعْقُوفٌ إِلَى أَسْفَلَ لِيَتَّصِلَ بِٱلْمَصِيرِ ٱلَّذِي يَنْزِلُ فِيهِ ٱلطَّعَامُ بَعْدَ هَضْمِهِ

فَيَعْمَلُ فِيهِ ٱلْمَعَا وَإِفْرَازُ ٱلْكَبِدِ ثُمَّ تَمْتَصُّ عُرُوقُ ٱلدَّمِ خُلَاصَتَهُ وَتَسِيرُ بِهَا إِلَى جَمِيعِ ٱلْأَعْضَاءِ فَيَأْخُذُ كُلُّ عُضْوٍ مِنْهَا قِسْطًا عَلَى قَدْرِ ٱحْتِيَاجِهِ وَمَا بَقِيَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ ثُفْلٌ فَاسِدٌ يَتَسَرَّبُ فِي ٱلْأَمْعَاءِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ ٱلْجِسْمِ وَمِنْ هَذَا ٱلْبَيَانِ تَتَّضِحُ فَائِدَةُ إِحْسَانِ مَضْغِ ٱلطَّعَامِ وَجَعْلِ فَتْرَةٍ بَيْنَ كُلِّ أَكْلَةٍ وَأُخْرَى تَكْفِي لِتَمَامِ ٱلْهَضْمِ حَتَّى لَا يَدْخُلَ طَعَامٌ لَمْ يُهْضَمْ عَلَى آخَرَ هُضِمَ بَعْضَ ٱلْهَضْمِ لِئَلَّا تُجْهَدَ ٱلْمَعِدَةُ فَتَكِلَّ وَتَمْرَضَ

﴿ ٤٥ — فِي سَبِيلِ ٱلْوَطَنِ ﴾

مَشَافِرُ	ظِبَاتٌ	يَتَسَرَّبُ	صَرْعَى
مُضَرَّجٌ	بَثٌّ	صَدْعٌ	شَوْكَةٌ
مِغْوَارٌ	فُرْصَةٌ	تُنَاكِلُ	ٱلْمُتَحَفِّزَةُ
نَذُودُ	عَرِينٌ	ٱلْأَسِنَّةُ	ٱلثُّلْمَةُ
ٱلدَّمَارُ			

فى أَوَاخِرِ ٱلْقَرْنِ ٱلرَّابِعَ عَشَرَ لِلْمِيلَادِ كَانَتِ ٱلْحَرْبُ نَاشِبَةً بَيْنَ ٱلنِّمْسَوِيِّينَ وَٱلسِّوِسْرِيِّينَ ٱلَّذِينَ هَاجُوا يَطْلُبُونَ ٱسْتِقْلَالَ بِلَادِهِمْ مِنْ أَيْدِى ٱلْغَاصِبِينَ عَلَى مَشَافِرِ ٱلسُّيُوفِ وَظُبَاتِ ٱلرِّمَاحِ فَهَاجَمَهُمُ ٱلنِّمْسَوِيُّونَ وَتَكَاثَرُوا عَلَيْهِمْ فِى وَقْعَةِ سِمْبَاخَ وَحَصَرُوهُمْ فِى أَجَمَةٍ كَثِيفَةِ ٱلْأَشْجَارِ وَأَحَاطُوا بِهِمْ وَضَيَّقُوا عَلَيْهِمُ ٱلْخِنَاقَ حَتَّى كَادَ ٱلْيَأْسُ يَتَسَرَّبُ إِلَى نُفُوسِهِمُ ٱلْبَاسِلَةِ ٱلْمُسْتَمِيتَةِ فِى سَبِيلِ خَلَاصِ ٱلْوَطَنِ وَٱفْتِدَائِهِ بِٱلْأَمْوَالِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْأَنْفُسِ وَكُلَّمَا خَرَجَ نَفَرٌ مِنْهُمْ يُهَاجِمُونَ ٱلْعَدُوَّ وَقَعُوا صَرْعَى عَلَى رُءُوسِ ٱلرِّمَاحِ

ٱلْمَصْفُوفَةِ مُضَرَّجِينَ بِدِمَائِهِمُ ٱلزَّكِيَّةِ وَأَرْوَاحُهُمُ ٱلْبَرِيئَةُ تَشْكُو إِلَى ٱللهِ بَثَّهَا وَبَلْوَاهَا مِنْ ظُلْمِ ٱلظَّالِمِينَ

وَلَمَّا ضَاقَتْ بِهِمُ ٱلْحِيَلُ فِي صَدْعِ صُفُوفِ ٱلنِّمْسَوِيِّينَ وَكَسْرِ شَوْكَتِهِمْ بَرَزَ وِنْكِلْرِيدُ ٱلسُّوِسْرِيُّ مِنْ بَيْنِ مُوَاطِنِيهِ وَصَاحَ بِهِمْ صَيْحَةَ شَهْمٍ مِغْوَارٍ أَنِ ٱتْبَعُونِي أَفْسَحْ لَكُمْ فُرْجَةً فِي صُفُوفِ ٱلْعَدُوِّ فَتَنْكَلُوا بِهِمْ تَنْكِيلاً وَخَرَجَ يَعْدُو مُسْتَقْبِلاً تِلْكَ ٱلرِّمَاحَ ٱلْمُتَحَفِّزَةَ لِإِعْدَامِهِ وَوَثَبَ عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ وَثْبَةَ ٱللَّيْثِ يَذُودُ عَنْ عَرِينِهِ وَقَبَضَ بِيَدَيْهِ عَلَى جُمْلَةٍ مِنَ ٱلْأَسِنَّةِ فَٱخْتَرَقَتْ صَدْرَهُ وَمَزَّقَتْ فُؤَادَهُ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَحْفِلْ بِمَا ٱنْتَابَهُ مِنَ ٱلْآلَامِ وَلَبِثَ قَابِضاً عَلَى ٱلرِّمَاحِ يُمَكِّنُهَا مِنْ صَدْرِهِ وَخَرَّ بِهَا عَلَى ٱلْأَرْضِ فَأَقْبَلَ مُوَاطِنُوهُ عَلَى تِلْكَ ٱلثُّلْمَةِ فِي صُفُوفِ ٱلْأَعْدَاءِ وَأَشْبَعُوهُمْ طَعْناً وَضَرْباً وَتَقْتِيلاً

فَٱضْطَرَبَتْ تِلْكَ ٱلصُّفُوفُ وَٱرْتَعَبَ ٱلْعَسْكَرُ وَخَارَ

بأسهم وَاختلّ نظامهم وَانقلبوا عَلَى أنفسهم ثمّ لاذوا بأذيال الفرار خوفًا ممّا حلّ بهم من العذاب وَالدّمار ﴿ وَكَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ فانتصر السوسريّون الأبطال ومتّعوا بالحرّيّة وَالاستقلال بعد أن بذل بطالهم ونكليد حياته الشريفة ومات شهيد الإخلاص

﴿ ٤٦ — ذكاء القاضي ﴾

الديباج عرا يبل الترّيث
يخفر يدلّس متنكر يسبر
فزية قيد مهيم

استأجر أحد التجّار جمّالًا يحمل له بضاعة نفيسة من الحرير وَالديباج اشتراها من حلب ليتّجر بها في إستنبول وَاتّفق معه على كراء معدود وَسار الركب يقطع الطريق آمنًا مطمئنًا

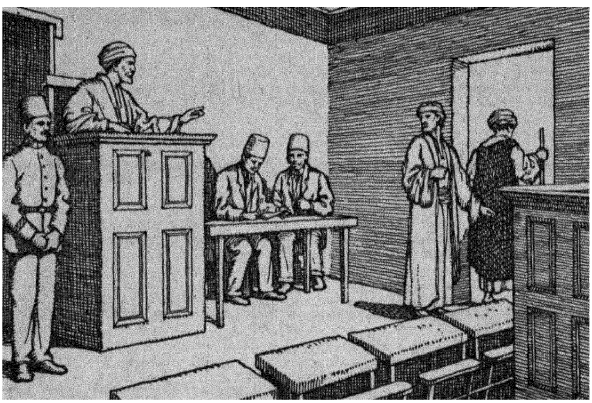

وَبَعْدَ مَسِيرَةِ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ عَرَا التَّاجِرَ مَرَضٌ شَدِيدٌ اضْطَرَّهُ إِلَى التَّخَلُّفِ عَنِ الرَّكْبِ وَالتَّرَيُّثِ فِي أَقْرَبِ قَرْيَةٍ يَتَمَرَّضُ فِيهَا حَتَّى يُبْلَّ فَوَصَّى الْجَمَّالَ بِمَتَاعِهِ وَأَذِنَ لَهُ بِمُتَابَعَةِ السَّيْرِ عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ وَانْتِظَارِهِ فِي إِسْتَنْبُولَ إِلَى أَنْ يَلْحَقَ بِهِ

وَمَا كَادَ الْجَمَّالُ يَبْلُغُ ذَلِكَ الْمَكَانَ الْقَصِيَّ حَتَّى وَسْوَسَ الشَّيْطَانُ فِي صَدْرِهِ وَسَوَّلَتْ لَهُ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ أَنْ يَخْفُرَ ذِمَّتَهُ وَيَنْقُضَ عَهْدَهُ وَيَخُونَ مَنِ ائْتَمَنَهُ

فَبَاعَ ٱلْبِضَاعَةَ بِثَمَنٍ بَخْسٍ وَغَيَّرَ ٱسْمَهُ وَلَبُوسَهُ وَٱدَّعَى أَنَّهُ تَاجِرٌ لِيُدَلِّسَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلِكَيْلَا يَهْتَدِيَ ٱلتَّاجِرُ إِلَيْهِ مَتَى حَضَرَ وَجَدَّ فِي ٱلْبَحْثِ عَنْهُ وَلَمَّا تَقَدَّمَ ٱلتَّاجِرُ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ طَلَبَ ٱلرَّجُلَ فَلَمْ يَقِفْ لَهُ عَلَى خَبَرٍ فَطَفِقَ يَطُوفُ أَنْحَاءَهَا لَعَلَّهُ يَقَعُ بِهِ بِٱلْمُصَادَفَةِ فَرَآهُ فِي ٱلطَّرِيقِ مُتَنَكِّراً مُسْتَخْفِياً فِي زِيِّ ٱلتُّجَّارِ فَأَمْسَكَ بِتَلَابِيبِهِ وَٱسْتَصْرَخَ وَٱسْتَغَاثَ فَأَقْبَلَ رِجَالُ ٱلشُّرْطَةِ وَسَاقُوهُمَا إِلَى ٱلْقَاضِي وَهُنَاكَ قَصَّ ٱلتَّاجِرُ قِصَّتَهُ فَأَنْكَرَهَا ٱلْجَمَّالُ وَقَالَ إِنَّهَا فِرْيَةُ كَاذِبٍ مُحْتَالٍ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَلِبَ مَا مَعَهُ مِنَ ٱلْمَالِ وَلَمْ يَكُنْ لَدَى ٱلتَّاجِرِ ٱلْمَسْرُوقِ بَيِّنَةٌ يُقِيمُ بِهَا حُجَّتَهُ عَلَى غَرِيمِهِ وَأَدْرَكَ ٱلْقَاضِي مِنْ خِلَالِ ٱلْحَدِيثِ أَنَّ ٱلتُّهْمَةَ صَحِيحَةٌ فَصَمَّمَ عَلَى أَنْ يَسْبُرَ ٱلْمَسْأَلَةَ بِٱلْحِيلَةِ وَٱلدَّهَاءِ فَأَمَرَ ٱلرَّجُلَيْنِ بِٱلٱنْصِرَافِ مِنْ أَمَامِهِ حَتَّى إِذَا مَا أَبْعَدَا عَنْهُ قِيدَ قَصَبَةٍ صَاحَ عَلَيْهِمَا « يَا جَمَّالُ » فَٱلْتَفَتَ

ذَلِكَ ٱلْخَائِنُ ٱلْمُتَنَكِّرُ وَقَالَ « مَهْيَمْ » فَقَامَتْ عَلَيْهِ تِلْكَ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَالِغَةُ وَأُجْبِرَ عَلَى رَدِّ ٱلْمَالِ إِلَى صَاحِبِهِ وَنَالَ شَدِيدَ ٱلْعِقَابِ جَزَاءَ مَا ٱقْتَرَفَ مِنَ ٱلْخِيَانَةِ وَٱلْعُدْوَانِ

﴿ ٤٧ — آيَاتُ ٱلْوَنَاءِ ﴾

إِبَّانُ يَلْجَأُ أَهْدَابُ مَأْوًى

هَلَعَ رَوْعٌ

مِنْ عَجَائِبِ مَا يُؤْثَرُ إِبَّانَ فَتْحِ ٱلْأَنْدَلُسِ أَنَّ شَابًّا إِسْبَانِيًّا ٱعْتَدَى عَلَى آخَرَ مِنْ أَبْنَاءِ ٱلْعَرَبِ وَقَتَلَهُ ثُمَّ فَرَّ هَارِبًا حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى بُسْتَانٍ فَآرْتَأَى أَنْ يَلْجَأَ إِلَيْهِ فَدَخَلَهُ فَوَجَدَ فِيهِ شَيْخًا جَلِيلًا قَدْ نَاهَزَ ٱلْمِائَةَ مِنْ عُمُرِهِ فَتَعَلَّقَ بِأَهْدَابِهِ لِيُجِيرَهُ مِنْ أَذَى أَعْدَائِهِ

فَجَاءَ بِهِ ٱلرَّجُلُ إِلَى مَأْوًى مُنْفَرِدٍ وَخَبَّأَهُ فِيهِ وَبَعْدَ ذَلِكَ عَلَا ٱلصِّيَاحُ بِفِنَاءِ ٱلْبُسْتَانِ وَدَخَلَ نَفَرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ يَحْمِلُونَ ٱلْقَتِيلَ فَنَظَرَهُ ٱلشَّيْخُ فَوَجَدَهُ ٱبْنَهُ وَٱعْتَقَدَ أَنَّ

ذَلكَ ٱلشَّابَّ ٱلَّذِى ٱخْتَبَأَ لَدَيْهِ هُوَ ٱلَّذِى قَتَلَهُ فَأَخَذَ مِنْهُ ٱلْأَسَى كُلَّ مَأْخَذٍ وَلَكِنَّهُ كَظَمَ غَيْظَهُ وَسَكَّنَ جَأْشَهُ وَٱنْزَوَى فِى إِحْدَى حُجُرَاتِ بَيْتِهِ حَتَّى أَتَى ٱللَّيْلُ وَهَدَأَتِ ٱلْأَصْوَاتُ ثُمَّ قَامَ وَدَخَلَ عَلَى ٱلْفَتَى وَنَبَّأَهُ بِٱلْأَمْرِ فَلَمَّا وَعَى ٱلْفَتَى قَوْلَهُ هَلَعَ فُؤَادُهُ وَرَأَى ٱلْمَوْتَ عِيَانًا فَأَخَذَ ٱلرَّجُلُ يُؤَمِّنُهُ وَيُهَدِّئُ رَوْعَهُ حَتَّى سُرِّىَ هَمُّهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ «مَا كُنْتُ لِأَخْفُرَ ذِمَّتِى وَأَنْقُضَ عَهْدِى وَلَكِنِّى لَا آمَنُ أَنْ يَجِىءَ قَوْمِى وَيُسِيئُوا إِلَيْكَ فَخُذْ مؤونَةَ سَفَرِكَ وَٱرْحَلْ عَنِّى وَٱللهُ ٱلنَّارِئُ وَلِىُّ أَمْرِى »

﴿ ٤٨ - وَصْفُ مِصْرَ ﴾

دَاهِيَةٌ	أَسَاطِينُ	اِمْتِشَاقُ	رِبْقَةٌ
يَسُومُونَ	اَلْخَسْفُ	اَلْآفَاقُ	اِسْتَتَبَّ
غَبْرَاءُ	أَعْفَرُ	عَجَاجٌ	نَكَصَ
طَمَى	اَلرَّابِيَةُ	زَبَرْجَدَةٌ	صَنَادِيدُ

عَمْرُو بْنُ اَلْعَاصِ بَطَلٌ مِغْوَارٌ مِنْ صَنَادِيدِ قُوَّادِ اَلْمُسْلِمِينَ وَدَاهِيَةٌ مِنْ أَسَاطِينِ اَلسِّيَاسَةِ اَلْمُجَرَّبِينَ أَوْفَدَهُ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ اَلْخَطَّابِ لِيَفْتَحَ مِصْرَ فَتَلَقَّاهُ أَهْلُهَا اَلْقِبْطُ بِغَيْرِ اِمْتِشَاقِ اَلْحُسَامِ طَمَعًا فِي اَلْخَلَاصِ مِنْ رِبْقَةِ جَوْرِ اَلرُّومِ اَلَّذِينَ كَانُوا يَسُومُونَهُمْ صُنُوفَ اَلْخَسْفِ وَاَلْعَذَابِ لِأَنَّ صِيتَ اَلْمُسْلِمِينَ كَانَ قَدْ طَبَّقَ اَلْآفَاقَ بِمَا سَرَى فِي نُفُوسِهِمْ مِنَ اَلتَّقْوَى وَمُعَامَلَةِ اَلنَّاسِ عَامَّةً بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ وَلَمَّا اِسْتَتَبَّ لَهُ اَلْحُكْمُ فِي أَرْضِ مِصْرَ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ كِتَابًا يَصِفُهَا بِهِ فَقَالَ .

« مِصْرُ تُرْبَةٌ غَبْرَاءُ وَشَجَرَةٌ خَضْرَاءُ طُولُهَا شَهْرٌ وَعَرْضُهَا عَشْرٌ يَكْتَنِفُهَا جَبَلٌ أَغْبَرُ وَرَمْلٌ أَعْفَرُ يَخُطُّ وَسَطَهَا نَهْرٌ مَيْمُونُ الْغَدَوَاتِ مُبَارَكُ الرَّوْحَاتِ يَجْرِي بِالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ كَجَرْيِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَهُ أَوَانٌ تَظْهَرُ بِهِ عُيُونُ الْأَرْضِ وَيَنَابِيعُهَا حَتَّى إِذَا أُصْلِحَ عَجَاجُهُ وَتَعَظَّمَتْ أَمْوَاجُهُ لَمْ يَكُنْ وُصُولُ بَعْضِ أَهْلِ الْقُرَى إِلَى بَعْضٍ إِلَّا فِي خِفَافِ الْقَوَارِبِ وَصِغَارِ الْمَرَاكِبِ فَإِذَا تَكَامَلَتْ تِلْكَ كَذَلِكَ نَكَصَ عَلَى عَقِبِهِ كَأَوَّلِ مَا بَدَأَ فِي شِدَّتِهِ وَطَمَى فِي حِدَّتِهِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ الْقَوْمُ لِيَحْرُثُوا بُطُونَ أَوْدِيَتِهِ وَرَوَابِيَهُ يَبْذُرُونَ الْحَبَّ وَيَرْجُونَ الثِّمَارَ مِنَ الرَّبِّ حَتَّى إِذَا أَشْرَقَ وَأَشْرَفَ سَقَاهُ مِنْ فَوْقِهِ النَّدَى وَغَذَاهُ مِنْ تَحْتِهِ الثَّرَى فَعِنْدَ ذَلِكَ يَدِرُّ حِلَابُهُ وَيُغَنِّي ذُبَابُهُ فَبَيْنَمَا هِيَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دُرَّةٌ بَيْضَاءُ إِذْ هِيَ عَنْبَرَةٌ سَوْدَاءُ فَإِذَا هِيَ زَبَرْجَدَةٌ خَضْرَاءُ فَتَعَالَى اللَّهُ

الفعّالُ لِمَا يَشَاءُ »

﴿ ٤٩ — وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾

الْأَنْعَامُ جَائِرٌ تُسِيمُونَ ذَرَأَ

مَوَاخِرُ تَمِيدُ جَرَمٌ

« وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ
لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا
وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً
وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ
أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ
اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ
وَمَا تُعْلِنُونَ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً
وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ
إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ
مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ لَا جَرَمَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ
وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ

(القرآن الكريم)

٥٠ — اَلفَرَجُ بَعْدَ اليَأْس

لُجُجٌ اَلْهَوَاجِسُ شَبَحٌ يَجِيشُ
اَلْقُنُوطُ اَللَّقَى اَلْمَيْمُونُ اَلْمَدُّ
اَلْمَخَاضَةُ قُفُولٌ اَلْعَرَاءُ تَرَبَّصَ اَلْجَذْرُ

خَرَجْتُ يَوْمًا لِلنُّزْهَةِ عَلَى شَاطِئِ اَلْبَحْرِ فَسَاقَنِي اَلْقَدَرُ جِهَةَ اَلشَّمَالِ اَلْغَرْبِيِّ وَأَنَا غَارِقٌ فِي لُجَجِ اَلْهَوَاجِسِ وَاَلْهُمُومِ وَإِذَا اَلْبَحْرُ كَأَنَّهُ اِنْفَلَقَ وَتَجَلَّى عَلَى ظَهْرِهِ شَبَحُ قَارِبٍ. قَلْبٍ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ اَلْخَيَالُ قَدْ لَعِبَ بِبَصَرِي وَجَعَلَهُ يَرَى مَا كَانَ يَجِيشُ فِي خَاطِرِي وَتَصْبُو إِلَيْهِ نَفْسِي وَلَوْ أَنَّهُ لَا وُجُودَ لَهُ لِأَنَّ شِدَّةَ اَلْيَأْسِ وَاَلْقُنُوطِ حَمَلَتْنِي عَلَى اَلْجَزْمِ بِأَنَّ تِلْكَ اَلْأَمْوَاجَ اَلْقَاسِيَةَ اَلَّتِي كَانَتِ اَلسَّبَبَ فِي تَعَسِّرِي وَشَقَائِي لَا تَحْمِلُ إِلَيَّ سَفِينَةَ اَلنَّجَاةِ غَيْرَ أَنَّ اَلْأَمَلَ كَثِيرًا مَا تَسَلَّطَ عَلَى اَلنُّفُوسِ اَلْيَائِسَةِ فَانْتَشَلَهَا مِنْ مَهَاوِي اَلْقُنُوطِ وَجَاشَ فِي صَدْرِي تِلْكَ اَلسَّاعَةَ ذِكْرَى بِلَادِي

وَزَوْجَتِيْ وَأَوْلَادِى فَانْتَزَعْتُ ثِيَابِى وَخُضْتُ فِى الْمَاءِ
كَأَنِّى أُسَابِقُ الرِّيحَ وَكُلَّمَا ابْتَعَدْتُ عَنِ الشَّاطِىءِ ازْدَادَ

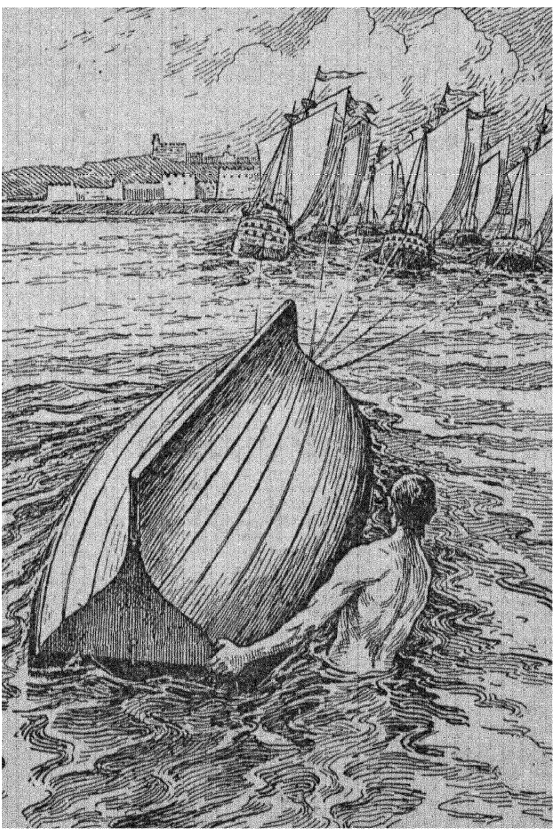

مَجَسُّ ٱلشَّبَحِ وَٱقْتِرَابُهُ إِلَى ٱلْحَقِيقَةِ فَيَدْفَعُنِي تَوَقُّعُ ٱلْفَرَجِ إِلَى ٱلْجَرْيِ نَحْوَ ذَلِكَ ٱللَّقَى ٱلَّذِي لَا يُقَوَّمُ وَأَخِيراً ٱزْدَادَ ٱلْبَحْرُ عَنْ قَامَتِي فَاطَّرَحْتُ عَلَى ظُهُورِ ٱلْأَمْوَاجِ أَسْبَحُ بِمَا تَجَدَّدَ فِيَّ مِنْ قُوَّةٍ وَنَشَاطٍ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى ٱلْقَارِبِ ٱلْمَيْمُونِ وَدُرْتُ حَوْلَهُ أَخْتَبِرُ مَتَانَتَهُ فَأَلْفَيْتُهُ سَلِيماً مِنَ ٱلْعَطَبِ فَدَفَعْتُهُ أَمَامِي وَأَنَا سَابِحٌ يُسَاعِدُنِي تَيَّارُ ٱلْمَدِّ بِتَوْفِيقٍ مِنَ ٱللهِ وَرَحْمَةٍ حَتَّى بَلَغْتُ بَدْءَ ٱلْمَخَاضَةِ فَوَقَفْتُ عَلَى قَدَمَيَّ أُجَدِّدُ ٱلْقُوَّةَ وَٱلنَّشَاطَ ثُمَّ وَاصَلْتُ ٱلسَّيْرَ وَٱلْقَارِبُ خَلْفِي أَسْحَبُهُ حَتَّى أَحْتَكَّ بِقَعْرِ ٱلْبَحْرِ فَتَرَبَّصْتُ أَنْتَظِرُ قُفُولَ ٱلْمِيَاهِ بِٱلْجَزْرِ فَتَبْقَى سَفِينَتِي بِٱلْعَرَاءِ وَحِينَئِذٍ يُمْكِنُنِي أَنْ أَسْتَعِينَ بِٱلْمَلَّاحِينَ وَٱلْعُمَّالِ فِي جَذْبِهَا إِلَى ٱلسَّاحِلِ

﴿ ٥١ - اَلرُّخَامُ ﴾

اَلرَّدَهَاتُ اَلْمُوسِرُ أَنْصَابٌ نُصُبٌ
مَقَاطِعُ اَلنَّاصِعُ اَلْآكَامُ اَلْأَخَادِيدُ
وَعِرَةٌ تُعَانِي وَخزٌ مَنَاخِسُ
عِقَابٌ يَنْسِفُونَ اَلْبُوقُ

تُرَى اَلرَّدَهَاتُ فِى جَامِعِ اَلْقَلْعَةِ وَفِى كَثِيرٍ مِنَ اَلْمَسَاجِدِ وَفِى دُورِ اَلْمُوسِرِينَ مُبَلَّطَةً بِحِجَارَةٍ بَيْضَاءَ حَسَنَةِ اَلْمَنْظَرِ وَتُرَى عَلَى سَطْحِهَا عُرُوقٌ بَعْضُهَا مُنْحَنٍ وَالْبَعْضُ مُسْتَقِيمٌ أَوْ مُنْكَسِرٌ

هَذَا اَلْحَجَرُ هُوَ اَلرُّخَامُ وَيُؤْتَى بِأَحْسَنِهِ مِنْ بِلَادِ اَلطَّلْيَانِ اَلَّتِى فِيهَا أَفْخَرُ كُنُوزِ اَلصَّنَائِعِ اَلرُّخَامِيَّةِ مِنْ أَنْصَابٍ بَدِيعَةٍ رَائِعَةٍ وَنُصُبٍ عَلَى اَلْقُبُورِ فَاخِرَةٍ وَتَمَاثِيلَ مُتْقَنَةٍ تُذْكَارًا لِلْمُلُوكِ وَالْأَبْطَالِ وَفُحُولِ اَلشُّعَرَاءِ وَكِبَارِ اَلْعُلَمَاءِ

**** ****

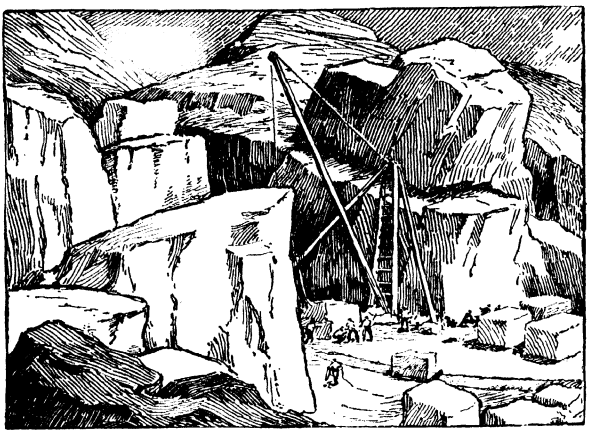

وأكبرُ مقاطعِ الرُّخامِ الأبيضِ الناصعِ وأشهرُها مقاطعُ كرارةَ التي تكتنفُها الآكامُ الرُّخاميةُ منْ كلِّ جانبٍ فتُكسبُها جمالًا في منظرِها وتوجدُ لأهلِها عملاً يرتزقونَ منهُ رزقًا حسنًا وأكثرُ أهلِ كرارةَ يعملونَ في الرُّخامِ بعضُهمْ يقطعُهُ والبعضُ ينحتُهُ وآخرونَ ينقلونَهُ على عجلاتٍ ضخمةٍ يجرُّها ثمانيةٌ منَ الثيرانِ فأكثرُ على قدرِ ثقلِ القطعةِ المحمولةِ وتجرى

ٱلْعَجَلَاتُ فِي أَوْدِيَةٍ كَثِيرَةِ ٱلْأَخَادِيدِ مَمْلُوءَةٍ طُرُقُهَا بِٱلرِّمَالِ وَٱلْحِجَارَةِ ٱلَّتِي تَجْعَلُهَا وَعِرَةً جِدًّا حَتَّى أَنَّهَا كَثِيرًا مَا تَكُونُ سَبَبًا فِي هَلَاكِ ٱلثِّيرَانِ مِنْ جَهْدِ مَا تُعَانِيهِ فِي جَرِّ ٱلْعَجَلَاتِ وَمَا تُلَاقِيهِ مِنْ سَائِقِيهَا ٱلْقُسَاةِ ٱلْغِلَاظِ ٱلْقُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَفْتُرُونَ عَنْ ضَرْبِهَا وَوَخْزِهَا بِمَنَاخِسِهِمُ الضَّخْمَةِ ذَاتِ ٱلْأَسِنَّةِ ٱلْحَادَّةِ ٱلَّتِي كَثِيرًا مَا يُدْخِلُونَهَا فِي مَنَاخِرِهَا لِيُكْرِهُوهَا عَلَى ٱلْعَدْوِ حَتَّى فِي عِقَابِ ٱلْآكَامِ وَيَسْمَعُ ٱلصَّاعِدُ عَلَى آكَامِ كَرَارَةَ صَوْتَ ٱلْبُوقِ ٱلَّذِي يُنْذِرُ ٱلْعَمَلَةَ بِقُرْبِ ٱنْفِجَارِ ٱلْبَارُودِ ٱلَّذِي يَنْسِفُونَ بِهِ ٱلصَّخْرَ فَمَتَى ٱنْفَجَرَ رُئِيَتْ قِطَعُ ٱلْأَحْجَارِ تَتَطَايَرُ فِي ٱلْجَوِّ إِلَى عُلُوٍّ عَظِيمٍ

﴿ ٥٢ — وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾

بَسْطَةٌ أَمْحَلَ ٱلصُّقْعُ ٱلْقَحِطُ
ٱللَّازِبَةُ ٱلْمَنِيَّةُ ٱلتَّعَفُّفُ ٱلِٱبْتِذَالُ أَتْحَفَ

مِمَّا يُرْوَى لِذَوِى الْأَفْئِدَةِ الْمُسْتَيْقِظَةِ مَاسُمِعَ فِى حَدِيثٍ عَنْ بَعْضِ عُظَمَاءِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ حِينَ تَمَّتْ نِعْمَتُهُ وَاتَّسَعَتْ بَسْطَتُهُ وَنَفَذَتْ فِى دَوْلَةِ مَخْدُومِهِ كَلِمَتُهُ أَنَّهُ سُئِلَ يَوْمًا مَا الَّذِى أَوْصَلَكَ إِلَى التَّقَرُّبِ مِنَ الْمَلِكِ حَتَّى أَلْحَقَكَ فِى إِحْسَانِهِ إِلَيْكَ بِخَوَاصِّ أَهْلِهِ فَقَالَ مَامَعْنَاهُ

اِعْلَمْ أَنَّهُ لَمَّا أَمْحَلَ هَذَا الصُّقْعُ فِى تِلْكَ السَّنَةِ الَّتِى سَمِعْتَ بِهَا فِى عَامِ الْقَحْطِ وَاضْطَرَبَ النَّاسُ وَاشْتَدَّتِ اللَّازِبَةُ وَضَاقَ الْأَمْرُ وَكَثُرَ الْجُوعُ وَاسْتَوَى فِى الشِّدَّةِ الْمُقِلُّ وَالْمُكْثِرُ وَنَفِدَتْ ذَخَائِرُ الْأَغْنِيَاءِ وَسَحَبَتِ الْمَنِيَّةُ ذَيْلَ الْهَلَاكِ عَلَى الضُّعَفَاءِ بَقِيتُ أَنَا وَأَهْلِى أَيَّامًا فِى قَبْضَةِ الْجُوعِ وَالْحَاجَةِ وَالْقِلَّةِ فَدَعَتِ الضَّرُورَةُ إِلَى أَنْ أَكْتُبَ إِلَى الْمَلِكِ وُرَيْقَةً لَطِيفَةً وَكَانَ ذَا مَيْلٍ إِلَى الْفَضْلِ وَرِعَايَةٍ لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَبَعَثْتُ بِهَا إِلَيْهِ وَمِمَّا قُلْتُهُ إِنَّهُ قَدْ عَرَضَتْ فَاقَةٌ أَنْطَقَتِ التَّعَفُّفَ عَلَى خِلَافِ الْعَادَةِ

بِالْمَسْأَلَةِ وَأَحْوَجَتْ أَهْلَ الصِّيَانَةِ إِلَى تَحَمُّلِ ذُلِّ الِابْتِذَالِ وَقَدْ وَقَعَ فِي النَّفْسِ أَنَّ فِي رَأْفَةِ الْمَلِكِ مَا يَكْشِفُ ضُرًّا وَيَسْتَرِقُّ حُرًّا وَيَسْتَوْجِبُ عَلَى الْأَبَدِ حَمْدًا وَشُكْرًا وَخَتَمْتُهَا بِقَوْلِي

فَامْنُنْ بِمَا يُغْنِي وَيُثْمِرُ دَائِمًا
حَمْدًا يَدُومُ عَلَى مَدَى الْأَيَّامِ

فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهَا وَقَعَتْ مِنْهُ بِمَوْقِعٍ فَأَرْسَلَ غُلَامًا عَلَى يَدِهِ مَا دَفَعَ الْحَاجَةَ فَكَتَبْتُ عَلَى يَدِ الْغُلَامِ كِتَابَ شُكْرٍ لَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ أَطْرَبَهُ وَقَالَ هَذَا الرَّجُلُ أَهْلٌ لِلْإِحْسَانِ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ هَذَا شُكْرُهُ لِلْقَلِيلِ مِنْ بِرِّنَا فَكَيْفَ يَكُونُ إِذَا أَتْحَفْنَاهُ بِإِنْعَامِنَا وَأَلْحَقْنَاهُ بِخَوَاصِّنَا فَاسْتَدْعَانِي وَخَصَّنِي بِلَطَائِفِ بِرِّهِ وَفَعَلَ بِي مَا رَأَيْتَ بَعْضَ أَثَرِهِ فَبَذَلْتُ لَهُ مَا فِي وُسْعِي وَجُهْدِي مِنْ مُنَاصَحَةٍ وَحَمْدٍ وَشُكْرٍ وَخِدْمَةٍ وَجَدِيرٌ بِمَنْ يَشْكُرُ أَنْ يَشْمَلَهُ

ٱلْمَزِيدَ فَإِنَّ رَبَّ ٱلْعِزَّةِ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ مَعَ ٱسْتِغْنَائِهِ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ وَلَا يَنْتَفِعُ بِكَثْرَةِ شُكْرِهِمْ وَلَا يَضُرُّهُ زِيَادَةُ كُفْرِهِمْ قَدْ بَذَلَ ٱلْمَزِيدَ لِمَنْ شَكَرَ وَأَعَدَّ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ لِمَنْ كَفَرَ فَقَالَ تَعَالَى « وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ » فَمَا ظَنُّكَ بِٱلْإِنْسَانِ ٱلَّذِي يَسْتَمِيلُهُ نَشْرُ ٱلشُّكْرِ وَيُطْرِبُهُ ذِكْرُ ٱلْحَمْدِ

(العقد الفريد للملك السعيد)

﴿ ٥٣ — ٱلْحِزْبُ ﴾

حُشِدَ	كَتَائِبُ	ٱلسَّوَارِي	رَهْطٌ
أَبَاطِحُ	قَسْطَلٌ	ٱلسَّرَابُ	ثَاكِلٌ
عُبَابٌ	ٱللُّغُوبُ	مُهَيْنَمٌ	هَامَةٌ
تَرَنَّحَ	نَشْوَانُ	ٱلطَّلَى	ثَاكِلٌ

وَمَوَاكِبٌ كَاللَّيْلِ أَوْ كَاللَّيْلِ قَدْ
حُشِدَتْ بِسَهْلٍ حَوْلَهُ هَضَبَاتُ
وَكَتَائِبٌ كَبَوَارِجٍ أَعْلَامُهَا
عَمَدُ السَّوَارِي وَالْقَنَا الْمُرْسَاةُ
سَالَتْ بِكَثْرَتِهَا الْأَبَاطِحُ مِثْلَمَا
سَالَتْ بِرَهْطِ حَجِيجِهَا عَرَفَاتُ
أَصْوَاتُهَا رَعْدٌ وَلَمْعُ نِصَالِهَا
بَرْقٌ وَقَسْطَلُ جَوِّهَا ظُلُمَاتُ
وَالْبَرُّ بَحْرٌ وَالسَّرَابُ عُبَابُهُ
وَالرَّكْبُ سُفْنٌ وَالرُّبَى مَوْجَاتُ
أَمْسَتْ فَغَيَّبَهَا الظَّلَامُ بِجَوْفِهِ
وَبَدَا سُكُونٌ طَيَّهُ حَرَكَاتُ
أَلْقَى اللُّغُوبُ عَلَى الصَّعِيدِ هِيَاكِلًا
قَدْ كَهْرَبَتْهَا بِالْكَرَى نَسَمَاتُ

حَتَّى إِذَا نَصَبَ ٱلصَّبَاحُ عَمُودَهُ
وَٱللَّيْلَ شَقَّتْ حُجْبَهُ لَمَعَاتُ
هَوَتِ ٱلرِّجَالُ عَلَى ٱلرِّجَالِ كَأَنَّهُمْ
قُلَلُ ٱلْجِبَالِ مُتُونُهَا ٱلصَّهَوَاتُ
وَتَعَانَقَتْ فَوْقَ ٱلسَّوَاعِدِ بِيضُهُمْ
تَحْتَ ٱلْعَرَاءِ كَأَنَّهَا غَادَاتُ
وَتَرَنَّحَتْ سُمْرُ ٱلْقَنَا نَشْوَانَةً
بِدَمِ ٱلطُّلَى فَتَزَحْزَحَتْ هَامَاتُ
وَتَطَايَرَتْ نَحْوَ ٱلْفَضَاءِ كَأَنَّهَا
شُهُبٌ وَضَوْضَاءُ ٱلْوَغَى صَعَقَاتُ
وَتَبَغْثَرَتْ فَوْقَ ٱلْوِهَادِ فَرَائِسٌ
عَلِقَتْ عَلَيْهَا أَنْسُرٌ وَبُزَاةُ
فَٱلْأُسْدُ تُولِمُ وَٱلْجَوَارِحُ تَغْتَذِي
وَٱلْأَرْضُ تَحْيَا وَٱلْوَرَى أَمْوَاتُ

وَٱلْجَهْلُ يَسْخَرُ وَٱلصَّوَابُ مُهَيْنَمٌ
وَٱلْجُنْدُ تَسْهَرُ وَٱلْمُلُوكُ غُفَاةُ
وَٱلْعَقْلُ يَبْكِي وَٱلطَّبِيعَةُ ثَاكِلٌ
وَٱلدَّهْرُ يَضْحَكُ وَٱلرَّدَى شَمَّاتُ
سُبْحَانَ مَنْ تَخِذَ ٱلْعَوَالِمَ مُصْحَفًا
فِيهِ لِكُلِّ غَرِيبَةٍ آيَاتُ

(سليم عنحوري)

﴿ ٥٤ — ٱلتَّاجُ مَحَلْ ﴾

جَحْفَلٌ ٱلصَّارِمُ ٱلْأَفْيَالُ عَاهِلٌ
جَدَثٌ بَاسِقٌ رِتَاجٌ طَاقٌ
عَرْفٌ دِحَالٌ مَسْلُوفَةٌ ٱلرَّائِدُ
رَذَاذٌ مَشَاكٌ تَتَوَهَّجُ ٱلْمُشَاكَلَةُ مَقْصُورَةٌ

قُرْبَ بَدَاءَةِ ٱلْقَرْنِ ٱلسَّابِعَ عَشَرَ لِلْمِيلَادِ أَغَارَ
جَحْفَلٌ مِنْ مُسْلِمِي ٱلْمُغُولِ عَلَى ٱلشَّمَالِ ٱلشَّرْقِيِّ لِلْهِنْدِ

وَٱفْتَتَحُوهُ عُنْوَةً بِحَدِّ ٱلصَّارِمِ ٱلْبَتَّارِ ثُمَّ ٱمْتَدَّ سُلْطَانُهُمْ عَلَى سَائِرِ ٱلْبِلَادِ ٱلْهِنْدِيَّةِ ٱلْعُلْيَا وَأَقَامُوا ٱلْوَزْنَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْقِسْطِ فَغَزَوُا ٱلنُّفُوسَ بِعَدَالَتِهِمْ كَمَا ٱنْفَتَحَتْ لِقُوَّتِهِمُ ٱلْحُصُونُ وَٱلْقِلَاعُ وَتَسَابَقَ ٱلْأَقْيَالُ وَٱلْأُمَرَاءُ يَخْضَعُونَ لِسُلْطَانِ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي مَدَّ ظِلَّهُ ٱلْوَارِفَ أَكْبَرْخَانُ حَتَّى أَضْحَى عَاهِلَ ٱلْبِلَادِ ٱلْهِنْدِيَّةِ بِأَسْرِهَا

وَلَقَدِ ٱشْتَهَرَ جَيْهَانُ شَاهُ مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ ٱلْعَوَاهِلِ بِشِدَّةِ تَعَلُّقِهِ بِعَقِيلَتِهِ ٱلَّتِي قَضَتْ نَحْبَهَا وَهِيَ فِي نُضْرَةِ ٱلشَّبَابِ سَنَةَ ١٣٦١ فَبَلَغَ مِنْهُ ٱلْأَسَى مَبْلَغًا ٱسْتَنْفَدَ ٱلصَّبْرَ وَعَزَّ عَلَيْهِ ٱلسُّلْوَانُ وَقَضَى حَيَاتَهُ وَصَرَفَ هِمَّهُ فِي تَمْجِيدِ ٱسْمِهَا وَتَخْلِيدِ ذِكْرِهَا فَرَفَعَ عَلَى جَدَثِهَا ٱلْهَامِدِ مَقْبُرَةً تُزْرِي بِبَاسِقِ ٱلْقُصُورِ وَأَرْسَلَ وُفُودَهُ تَجُوبُ ٱلْآفَاقَ فِي طَلَبِ أَبْرَعِ ٱلصُّنَّاعِ حَتَّى جَمَعَ لَدَيْهِ عِشْرِينَ أَلْفَ صَانِعٍ ٱشْتَغَلُوا ٱثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً وَأَنْفَقَ فِي

تَشْيِيدِهَا مَا يُنِيفُ عَلَى ثَلَاثَةِ مَلَايِينَ مِنَ ٱلْجُنَيْهَاتِ

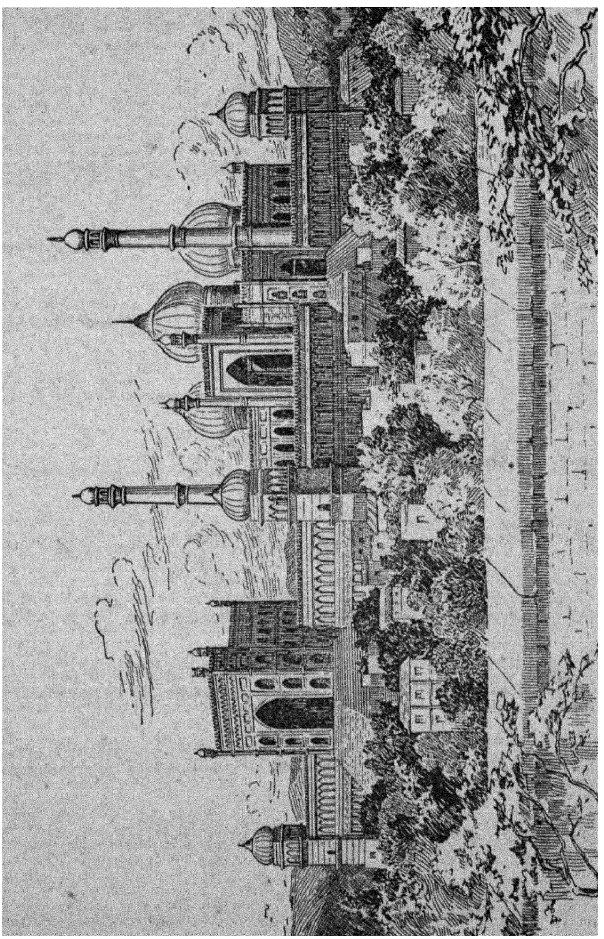

يُدْخَلُ إِلَى هَذِهِ ٱلْمَقْبَرَةِ بَلْ هَذَا ٱلْقَصْرِ مِنْ رِتَاجٍ ضَخْمٍ شَامِخِ ٱلْبُنْيَانِ مِنَ ٱلْحَجَرِ ٱلْأَحْمَرِ ٱلْمُرَصَّعِ بِٱلرُّخَامِ ٱلْأَبْيَضِ وَٱلْأَسْوَدِ وَفِي وَسَطِهِ طَاقٌ مَعْقُودٌ يَزِيدُهُ فَخَامَةً وَرُوَاءً وَفِي دَاخِلِ سُورِهِ ٱلْعَالِي ٱلْبِنَاءِ بُسْتَانٌ فَسِيحُ ٱلْأَرْجَاءِ قَدْ زَانَتْهُ ٱلْأَزْهَارُ وَٱلرَّيَاحِينُ بِبَاهِرِ أَلْوَانِهَا وَعَطَّرَتْهُ بِعَبِيقِ عَرْفِهَا وَتَبْلُغُ دِحَالُهُ ٱلشَّاهِقَةُ إِلَى عَنَانَ ٱلسَّمَاءِ وَأَفْنَانُهَا مُتَشَبِّكَةٌ مُتَعَانِقَةٌ كَأَنَّهَا رَمْزٌ لِذَلِكَ ٱلْحُبِّ ٱلطَّاهِرِ وَٱلْوَفَاءِ ٱلصَّمِيمِ وَهِيَ مَنْظُومَةٌ فِي صَفَّيْنِ عَلَى جَانِبَيْ طَرِيقٍ مَسْلُوفَةٍ وَأَمَامَهَا عِقْدُ فَوَّارَاتٍ تَسْتَرْعِي ٱلرَّائِدَ بِخَرِيرِهَا وَتُنَدِّيهِ بِرَذَاذِهَا وَٱلْبَبْغَاوَاتُ ٱلْخَضْرَاءُ تُمَازِجُهُ وَتُؤَانِسُهُ بِحَدِيثِهَا حَتَّى يَبْلُغَ ٱلْحَائِطَ ٱلدَّاخِلِيَّ وَهُوَ مَنْقُوشٌ بِصُوَرِ أَزْهَارٍ قَدْ طُعِّمَتْ بِٱلْمَرْمَرِ ٱلنَّاصِعِ وَفِيهِ مَشَاكٍ تَبْنِي فِيهَا ٱلْبَبْغَاوَاتُ عُشُشَهَا وَفَوْقَ هَذَا ٱلْحَائِطِ قَدْ فُرِشَ رَصِيفٌ مِنَ ٱلرُّخَامِ يُصْعَدُ إِلَيْهِ فِي سُلَّمٍ مِنَ

ٱلْمَرْمَرِ وَفِي طَرَفَيِ ٱلرَّصِيفِ مَسْجِدَانِ شَاهِقَانِ مِنَ ٱلْحَجَرِ ٱلْأَحْمَرِ ٱلْمُرَصَّعِ بِٱلرُّخَامِ ٱلْأَبْيَضِ وَٱلْأَسْوَدِ لِكُلٍّ مِنْهُمَا ثَلَاثُ قِبَابٍ مِنَ ٱلْمَرْمَرِ تَتَوَهَّجُ فِي ضَوْءِ ٱلشَّمْسِ كَأَنَّهَا قَنَادِيلُ عَظِيمَةٌ مُضِيئَةٌ إِلَّا أَنَّ أَحَدَ ٱلْمَسْجِدَيْنِ لَيْسَ مُسْتَعْمَلًا لِٱنْحِرَافِهِ عَنِ ٱلْقِبْلَةِ وَبُنِيَ عَلَى سَبِيلِ ٱلْمُشَاكَلَةِ فَقَطْ

وَفِي وَسَطِ هَذَا ٱلرَّصِيفِ رَصِيفٌ ثَانٍ أَعْلَى مِنْهُ قَدْ أُقِيمَتْ أَرْبَعُ مِئْذَنَاتٍ عَلَى أَرْكَانِهِ ٱلْأَرْبَعَةِ وَفِي وَسَطِهِ قُبَّةٌ بَاسِقَةٌ وَاسِعَةٌ تُحِيطُ بِهَا أَرْبَعُ قِبَابٍ صَغِيرَةٍ وَبَابُهُ طَاقٌ هَالٌ مَنْقُوشٌ بِضُرُوبِ ٱلزُّخْرُفِ وَفُنُونِ ٱلْحِلْيَةِ وَأَرْضُ ٱلْقُبَّةِ مِنَ ٱلْفُسَيْفِسَاءِ ٱلْمَنْقُوشَةِ بِأَشْكَالٍ عَرَبِيَّةٍ وَعَلَى جُدُرِهَا آيَاتٌ مِنَ ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ مَكْتُوبَةٌ بِٱلذَّهَبِ ٱلْإِبْرِيزِ وَفِي وَسَطِ أَرْضِ ٱلْقُبَّةِ مَقْصُورَةٌ فِيهَا ٱلتَّابُوتُ تَحُفُّهُ ٱلْمَهَابَةُ وَٱلْكَرَامَةُ ٱللَّتَانِ نَسَجَتْهُمَا يَدُ ٱلْمَحَبَّةِ وَٱلْوَفَاءِ

﴿ ٥٥ — مِنفَاخُ ٱلجِسْمِ ﴾

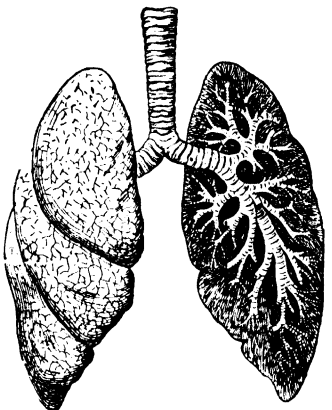

شَهِيقٌ زَفِيرٌ

آوِنَةٌ يَنْبِضُ

مُعْتَرِضَةٌ شُعَبٌ

كَدِرٌ إِضْرَامٌ

أَذْرَانٌ تُضْنِي

يَنْبَسِطُ ٱلصَّدْرُ وَيَنْقَبِضُ أَمَامَ عَيْنِ ٱلرَّائِي مِنَ ٱلتَّنَفُّسِ شَهِيقِهِ وَزَفِيرِهِ كَمَا يَنْبَسِطُ ٱلْمِنْفَاخُ وَيَنْقَبِضُ فَيَمْتَلِئُ آوِنَةً مِنَ ٱلْهَوَاءِ ٱلدَّاخِلِ فِيهِ وَيَخْلُو أُخْرَى بِخُرُوجِهِ مِنْهُ وَتَسْتَمِرُّ وَتَتَوَاصَلُ هَاتَانِ ٱلْحَرَكَتَانِ مَادَامَ فِي ٱلْإِنْسَانِ عِرْقٌ يَنْبِضُ

وَلَيْسَ ٱلْمِنْفَاخُ فِي هَيْئَتِهِ إِلَّا مُمَثِّلًا مَا فِي ٱلْجِسْمِ مِنَ ٱلْأَعْضَاءِ ٱلْمَخْلُوقَةِ لِلتَّنَفُّسِ فَإِنَّ فَمَهُ وَأُنْبُوبَتَهُ يُمَثِّلَانِ

ٱلْأَنْفَ وَقَصَبَةَ ٱلنَّفَسِ ٱلظَّاهِرَةَ فِي ٱلْعُنُقِ وَجِسْمُهُ يُشَابِهُ ٱلرِّئَتَيْنِ ٱلْمَنْصُوبَتَيْنِ فِي وَسَطِ ٱلصَّدْرِ ٱلَّذِي هُوَ عُلْبَةٌ مِنْ قُضْبَانٍ مِنَ ٱلْعِظَامِ ٱسْمُهَا ٱلضُّلُوعُ بَيْنَهَا عَضَلَاتٌ مَتِينَةٌ مُعْتَرِضَةٌ هِيَ آلَةُ ذَلِكَ ٱلْإِنْبِسَاطِ وَٱلْإِنْقِبَاضِ وَتَتَفَرَّعُ قَصَبَةُ ٱلنَّفَسِ فِي وَسَطِ ٱلصَّدْرِ مِنْ أَعْلَاهُ إِلَى فَرْعَيْنِ يَخْرُجُ مِنْ كُلٍّ مِنْهُمَا شُعَبٌ وَأَنَابِيبُ لَا يُحْصِيهَا إِلَّا ٱللهُ وَهِيَ مَحُوطَةٌ بِكِيسَيْنِ مِنْ غِشَاءٍ فِي جَانِبَيِ ٱلصَّدْرِ يَمْنَةً وَيَسْرَةً هُمَا ٱلرِّئَتَانِ وَفِي خِلَالِ هَذِهِ ٱلْأَنَابِيبِ تَدْخُلُ ٱلْعُرُوقُ ٱلدَّقِيقَةُ بَعْضُهَا يَحْمِلُ دَمًا كَدِرًا يَنْتَزِجُ بِٱلْهَوَاءِ فَيَخْلُصُ مِمَّا عَرَاهُ مِنْ دَوَاعِي ٱلْفَسَادِ وَيَعُودُ فِي عُرُوقٍ أُخَرَ أَحْمَرَ صَافِيَ ٱلْحُمْرَةِ فَيَنْزِلُ فِي ٱلْقَلْبِ لِيُوزِّعَهُ عَلَى ٱلْجِسْمِ وَكُلَّمَا كَثُرَ ٱلْهَوَاءُ ٱلدَّاخِلُ بِٱسْتِطَالَةِ ٱلنَّفَسِ كَانَ ٱلدَّمُ أَكْثَرَ صَفَاءً وَصِحَّةً وَلَا يَسْتَغْرِبَنَّ أَحَدٌ مِنْ أَنَّ فِي ٱلْجِسْمِ آلَةً كَٱلْمِنْفَاخِ فِي هَيْئَتِهِ فَإِنَّ هَذِهِ ٱلْآلَةَ

تَعْمَلُ فِيهِ مَا يَعْمَلُ ٱلْمِنْفَاخُ فِي إِضْرَامِ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي تُحْرِقُ ٱلْوَقُودَ وَتَحْتَاجُ لِذَلِكَ إِلَى ٱلْهَوَاءِ وَلَوْلَا هَذَا ٱلضِّرَامُ فِي سَائِرِ ٱلْبَدَنِ لَعَدِمَ حَرَارَتَهُ وَلَأَصْبَحَ جُثَّةً بَارِدَةً هَامِدَةً

وَقَدْ جَعَلَ ٱللهُ فِي ٱلْأَنْفِ عُدَّةً تُدَفِّئُ ٱلْهَوَاءَ وَتُنَقِّيهِ مِمَّا يَشُوبُهُ مِنَ ٱلْغُبَارِ وَٱلْأَدْرَانِ حَتَّى يَدْخُلَ ٱلرِّئَتَيْنِ خَالِصًا سَلِيمًا يَجْنِي مِنْهُ ٱلدَّمُ وَٱلْجِسْمُ ٱلْخَيْرَ ٱلْجَزِيلَ وَلِذَلِكَ كَانَ فِي ٱلتَّنَفُّسِ بِٱلْفَمِ مَضَرَّةٌ تُسْقِمُ ٱلْجِسْمَ وَتُضْنِيهِ فَحَذَارِ مِنْ ذَلِكَ ٱلْخَطَرِ ٱلْعَظِيمِ

﴿ ٥٦ — جَنَادِلُ نَيْكَرَا ﴾

جَعْفَرٌ	يَتَعَرَّجُ	صَلَادَةٌ	ٱلْجَنَادِلُ
يُرْعِي	يُزْبِدُ	ٱلطَّامَّةُ	تِلْقَاءُ
ٱلرَّائِعُ	رَشَاشٌ	ٱلصَّيِّبُ	ٱلْمِدْرَارُ
ٱلْمِرْجَلُ	بَاسِقَةٌ	ٱلْكَئُودُ	حُطَامٌ

نَجْرِي فِي أَوَاسِطِ أَمْرِيقَا ٱلشَّمَالِيَّةِ جَعْفَرٌ عَظِيمٌ

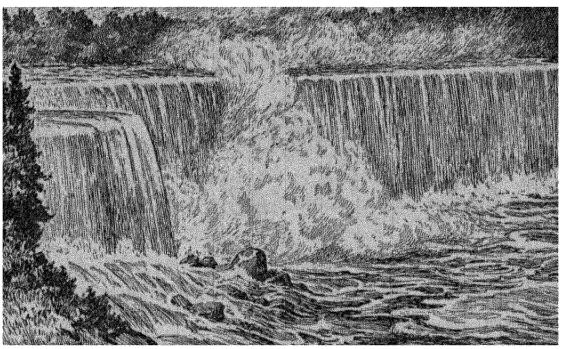

السَّعَةِ يَتَعَرَّجُ فِى سَبِيلِهِ وَيَنْحَنِى وَيَنْثَنِى مُتَخَيِّرًا سَهْلَ الْبِقَاعِ فَيَتَدَفَّقُ فِيهَا وَيَشُقُّ نَهْرُهُ يُوَسِّعُهُ وَيُضَيِّقُهُ عَلَى قَدْرِ الْمُقَاوَمَةِ الَّتِى يَلْقَاهَا بَيْنَ صَلَابَةِ الْأَرْضِ وَرَخَاوَتِهَا وَصَلَادَةِ الصُّخُورِ وَلِينِهَا ثُمَّ يَنْتَفِخُ إِلَى بُحَيْرَاتٍ خَمْسٍ أُولَاهَا عَلَى هَضْبَةٍ شَاهِقَةٍ يَنْهَارُ مَاؤُهَا عَلَى مَا بَعْدَهَا خِلَالَ الصُّخُورِ وَالْجَنَادِلِ فَيَدْوِى وَيُزْغِى وَيُزْبِدُ حَتَّى يَبْلُغَ الْبُحَيْرَةَ الرَّابِعَةَ وَهِىَ أَيْرَى وَهُنَاكَ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى إِذْ يَهْوِى الْمَاءُ هُوِيًّا رَأْسِيًّا مَسَافَةَ ثَلَثِمِائَةِ قَدَمٍ بَيْنَ الْحَجَرِ

**** ***

ٱلْجَلْمُودِ وَهُوَ يَتَدَافَعُ وَيَتَخَبَّطُ وَيَتَرَامَى حَتَّى يَصِلَ إِلَى أُنْتَرْيُو خَامِسَةِ ٱلْبُحَيْرَاتِ

وَإِنَّ ٱلشَّاهِدَ لَيَدْهَشُ تِلْقَاءَ ذَلِكَ ٱلْمَنْظَرِ ٱلرَّائِعِ إِذْ يَرَى ٱلْمِيَاهَ فِي فَرٍّ وَكَرٍّ وَكِفَاحٍ وَنِزَالٍ وَصِرَاعٍ وَرَشَاشُهَا يَتَصَاعَدُ فِي ٱلْجَوِّ فَيُلَاطِمُ كَبِدَ ٱلسَّمَاءِ وَيَهْوِي ثَانِيَةً كَأَنَّهُ ٱلصَّيِّبُ ٱلْمِدْرَارُ وَٱلزَّبَدُ يَتَلَاقَى وَيَتَجَمَّعُ فَيُكَوِّنُ رُكَاماً أَبْيَضَ وَأَشِعَّةُ ٱلشَّمْسِ تَخْتَلِطُ بِهَذَا ٱلْمِرْجَلِ ٱلْفَائِرِ ٱلثَّائِرِ فَتَنْحَلُّ أَلْوَاناً مُتَبَايِنَةً مُتَعَدِّدَةً تَكَادُ تَبْلُغُ مَبْلَغَ ٱلسِّحْرِ فِي تَأْثِيرِهَا فِي ٱلنُّفُوسِ وَأَخْذِهَا بِمَجَامِعِ ٱلْقُلُوبِ وَتَخْتَرِقُ هَذِهِ ٱلْجَنَادِلَ مِنْ وَسَطِهَا جَزِيرَةٌ خَضْرَاءُ بَاسِقَةُ ٱلْأَشْجَارِ تَقْسِمُهَا إِلَى جَنْدَلَيْنِ مُنْفَصِلَيْنِ أَحَدُهُمَا فِي كَنَدَا وَٱلثَّانِي فِي ٱلْوِلَايَاتِ ٱلْمُتَّحِدَةِ وَيَتَعَذَّرُ عَلَى ٱلسُّفُنِ مَهْمَا بَلَغَتْ مِنْ مَتَانَةِ ٱلصُّنْعِ أَنْ تَقْتَحِمَ هَذِهِ ٱلْعَقَبَةَ ٱلْكَئُودَ بَلْ تُصْبِحُ حُطَاماً فِي أَقَلَّ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ

وَلَكِنْ رَغْمَ الْعِلْمِ الْجَازِمِ بِهَذِهِ النَّتِيجَةِ الْفَظِيعَةِ لَمْ تَخْلُ الْأَرْضُ مِنْ مُعْتَسِفِينَ اقْتَحَمُوا تِلْكَ الْعَقَبَةَ الْفَاتِكَةَ يُحَاوِلُونَ اجْتِيَازَهَا فَمَا قَضَوْا مِنْهَا وَطَرَهُمْ بَلْ قُضِيَتْ عَلَى حَيَاتِهِمْ بِمَا كَانُوا يُخَاطِرُونَ

﴿ ٥٧ — مَنْظَرُ بُسْتَانٍ ﴾

أَرِيجٌ	اَلضَّوَاحِي	تَسْجَعُ	تُطَرِّبُ
وَفْرَةٌ	تَسْتَفِزُّ	اِسْتِيعَابٌ	مَوَّهَ
يَطَأُ	لَأْلَاءُ	اَلْحَصْبَاءُ	أَفْنَانٌ
أَدِيمٌ	كَاسِفٌ	تِيهٌ	

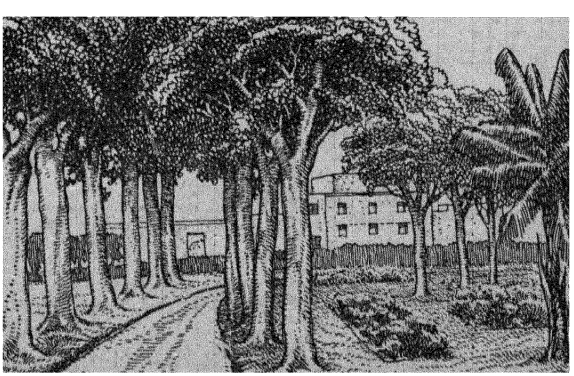

لَمْ أَرَ فِي الْحَيَاةِ مَنْظَرًا أَبْهَى وَأَجْمَلَ مِنْ حَدِيقَةٍ غَنَّاء يَتَرَاوَحُ فِيهَا الْغُصْنُ عَلَى الْغُصْنِ وَيَمِيلُ وَتَنْتَشِرُ الرَّوَائِحُ الزَّكِيَّةِ مِنْ أَزْهَارِهَا الْبَهِيَّةِ فَتَحْمِلُهَا الرِّيحُ عَلَى أَجْنِحَتِهَا الْخَفِيَّةِ وَتُعَطِّرُ بِأَرِيجِهَا الْهَوَاءَ الْعَلِيلَ وَتَضُمُّ فِي ضَوَاحِيهَا آيَاتِ الْجَمَالِ فَتَقَرُّ بِهَا الْعُيُونُ وَتَسْتَقِرُّ لِمَا يَجْتَذِبُهَا مِنْ زَاهِي اللَّوْنِ وَبَدِيعِ التَّنْسِيقِ وَتَسْجَعُ الْبَلَابِلُ وَتُطَرِّبُ الْأَطْيَارُ وَهِيَ قَائِمَةٌ عَلَى الْأَغْصَانِ مُتَوَارِيَةٌ عَنِ الْعِيَانِ فِي خِلَالِ الْأَوْرَاقِ فَتَهْتَزُّ لِسَمَاعِهَا الْقُلُوبُ وَتُشَنَّفُ الْآذَانُ وَتَتَدَلَّى الْفَوَاكِهُ وَالْأَثْمَارُ عَلَى اخْتِلَافِ أَشْكَالِهَا وَوَفْرَةِ ضُرُوبِهَا وَتَتَدَانَى مِنْ أَيْدِي الْقَاطِفِينَ كَأَنَّهَا تَسْتَفِزُّهُمْ إِلَى اسْتِيعَابِهَا بِالْأَيْدِي كَمَا مَتَّعُوا مِنْهَا الْأَنْظَارَ وَالْمَاءُ يَجْرِي فِي شُقُوقِهِ وَجَدَاوِلِهِ كَأَنَّهُ أَسْلَاكٌ صِيغَتْ مِنْ صَافِي اللُّجَيْنِ إِذَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ مَوَّهَتْهُ بِالذَّهَبِ فَيُمَثِّلُ الْجَوْهَرَيْنِ الْكَرِيمَيْنِ فِي صَفَائِهِ وَلَأْلَائِهِ

يَطَأُ ٱلسَّائِرُ فِي هَـٰذَا ٱلْبُسْتَانِ طَرِيقًا مَرْصُوفَةً بِٱلْحَصْبَاءِ مَحْفُوفَةً مِنْ جَانِبَيْهَا بِأَشْجَارٍ ٱشْتَبَكَتْ أَفْنَانُهَا كَأَنَّهَا ٱلْقِبَابُ ٱلْمَضْرُوبَةُ وَضَوْءُ ٱلشَّمْسِ يَسْتَرِقُ فُرْجَةً بَيْنَ ٱلْأَوْرَاقِ يَتَدَلَّى مِنْهَا إِلَى ٱلثَّرَى لِيُقَبِّلَهُ فَتَضِنُّ عَلَيْهِ ٱلْأَوْرَاقُ وَتَقْطَعُ ٱلسَّبِيلَ فَيَسْلُكُ طَرِيقًا أُخْرَى تُوَصِّلُهُ إِلَى ٱلْأَدِيمِ فَتَسُدُّ عَلَيْهِ هَذِهِ أَيْضًا فَيَكْشِفُ غَيْرَهَا فَيَنْزِلُ مِنْهَا وَهَكَذَا تَبْقَى ٱلْأَشِعَّةُ فِي غُدُوٍّ وَرَوَاحٍ وَٱلْوَرَقُ يُطَارِدُهَا وَيُمَانِعُهَا حَتَّى يَحْمَرَّ وَجْهُ ٱلسَّمَاءِ بِأَقْتِرَابِ ٱلْغُرُوبِ فَيَرْتَدَّ ضَوْءُ ٱلشَّمْسِ كَاسِفًا مَحْزُونًا وَيَبْقَى ٱلْوَرَقُ يَتَلَاعَبُ زَهْوًا وَتِيهًا بِٱنْتِصَارِهِ وَظَفَرِهِ

﴿ ٥٨ — حُكُومَةُ ٱلْجِسْمِ ﴾

ٱلْقِسْطُ	مُتَنَافِرَةٌ	مُتَكَاثِفَةٌ	مُتَعَامِدَةٌ
يَصْدَعُ	تَصْرِيفٌ	يَنِي	ٱلزِّمَامُ
مَأْزِقٌ	ٱلزَّلَلُ	يَضْرِمُ	تَتَحَفَّزُ

كُلَّمَا ٱسْتَقَرَّ قَوْمٌ مِنَ النَّاسِ فِي مَكَانٍ مُجْتَمِعِينَ قَامَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ يَتَوَلَّوْنَ أُمُورَهُمْ وَتَأْمِينَ أَنْفُسِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَيَقُومُونَ عَلَيْهِمْ بِٱلْقِسْطِ فِي مُخَاصَمَاتِهِمْ لِيُؤَلِّفُوا بَيْنَ قُلُوبٍ كَانَتْ شَتَّى مُتَنَافِرَةً فَأَصْبَحَتْ بِقُوَّةِ ٱلْعَدْلِ وَالسَّهَرِ عَلَيْهَا مُتَكَاتِفَةً مُتَعَامِدَةً كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا

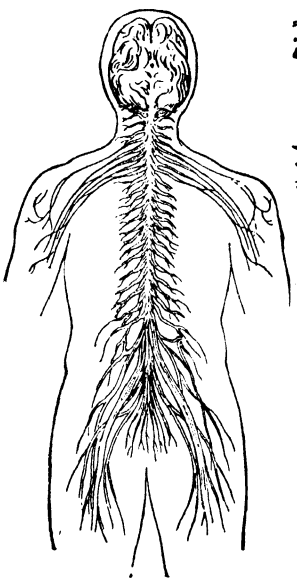

وَلَا بُدَّ لِهَذِهِ ٱلْحُكُومَةِ مِنْ رَأْسٍ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ وَأَعْضَاءٍ مُتَنَوِّعَةٍ يَخْتَصُّ كُلٌّ مِنْهَا بِعَمَلٍ مُفْرَدٍ يَقُومُ بِتَنْفِيذِهِ مُسْتَمِدًّا سُلْطَانَهُ مِنْ ذَلِكَ الرَّأْسِ يُبْلِغُهُ ٱلْحَوَادِثَ عِنْدَ وُقُوعِهَا وَيَصْدَعُ بِأَمْرِهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَمِنَ ٱلْأَعْضَاءِ مَاقَدْ شُرِعَ لَهُ شَرْعٌ يَتَّبِعُهُ فِي أَعْمَالِهِ فَيَعْمَلُ

وَلَا يَنِي حُرًّا مُسْتَقِلاً مَالَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهِ ٱلْخَلَلُ فَيَقِفَ عَنِ ٱلْعَمَلِ حَتَّى يُصْلَحَ مِنْهُ مَافَسَدَ وَمَا ٱلْجِسْمُ ٱلْبَشَرِيُّ إِلَّا حُكُومَةٌ أَحْكَمَ نَظْمَهَا ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ فَوَلَّى عَلَيْهَا ٱلرَّأْسَ بِرُوحٍ مِنْ عِنْدِهِ وَأَوْدَعَ فِيهِ ٱلْعَقْلَ وَمَلَّكَهُ ٱلزِّمَامَ ثُمَّ جَعَلَ فِي ٱلْجِسْمِ عَضَلَاتٍ عَامِلَاتٍ بِأَمْرِهِ وَأُخَرَ مُسْتَقِلَّاتٍ عَنْ إِرَادَتِهِ عَامِلَاتٍ عَلَى نِظَامٍ ثَابِتٍ لَا تَفْتُرُ عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ مَا دَامَتْ بَعِيدَةً عَنْ مَآزِقِ ٱلزَّلَلِ وَٱلسَّرَفِ وَإِلَّا ٱعْتَرَاهَا فَسَادٌ قَدْ يَضْرِمُ حَبْلَ ٱلْحَيَاةِ مَالَمْ يَتَوَلَّهَا ٱلْإِنْسَانُ بِٱلرِّيَاضَةِ وَٱلْعِلَاجِ وَتِلْكَ ٱلْأَعْضَاءُ ٱلْمُسْتَقِلَّةُ هِيَ أَجْهِزَةُ ٱلدَّمِ وَٱلتَّنَفُّسِ وَٱلْهَضْمِ وَسَائِرُ ٱلْأَحْشَاءِ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلرَّأْسِ أَسْلَاكٌ تِلِغْرَافِيَّةٌ مِنَ ٱلْأَعْصَابِ تَحْمِلُ إِلَيْهِ خَبَرَ مَايُؤْلِمُهَا أَوْ يُصِيبُهَا مِنَ ٱلْآفَاتِ لِكَيْمَا يَصْرِفُ عَنْهَا ٱلْأَذَى بِعَقْلِهِ وَحِكْمَتِهِ

وَبَقِيَّةُ ٱلْأَعْضَاءِ تَعْمَلُ بِإِرَادَةِ ٱلرَّأْسِ وَأَمْرِهِ فَإِذَا

شاء الإنسانُ المشيَ أصدرَ الرأسُ أمرًا إلى الرجلين فتحملُه أعصابُ الحركةِ بسرعةِ البرقِ أو أشدَّ سرعةً فتتحفزان للحركةِ وتسيران بالجسمِ طائعتين وإذا أصابَ اليدَ أو عضوًا غيرَها ألمٌ أرسلتْ شكواها خلالَ الأعصابِ فيأمرُ الرأسُ بانسحابها إلى مأمنٍ أو إقدامِها لكفِّ الأذى أو التنكيلِ بالمعتدي جزاءَ اعتدائِه « فسبحانَ الذي أعطى كلَّ شيءٍ خلقَه ثم هدى »

﴿ ٥٩ — أهلُ لا بلندَ ﴾

جبلٌ	جرداءُ	آجامٌ	زرابٌ
ثبتلٌ	حمولةٌ	يحتذي	البشرةُ
وجناتٌ	زرافاتٌ	ينتجعُ	قارسٌ
كوةٌ	قتارٌ	متقبضٌ	ضنٌ
الحمدُ	مرديٌ		

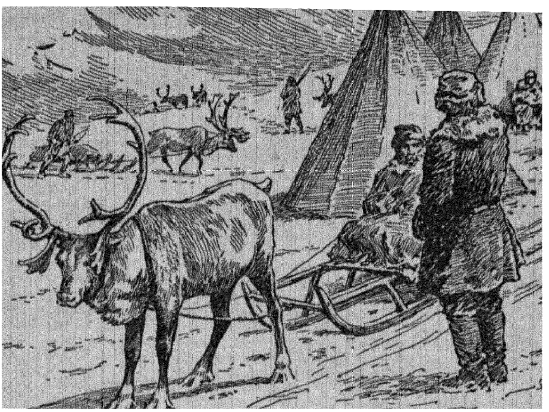

يعيش جيل من الناس في شمال السويد وروسيا بلادهم جرداء قاحلة ما خلا بضع آجام منتثرة يتخذون من غصونها وجذوعها زرابا يسكنونها أيام شتائهم الطويل ولا يؤانسهم في وحشتهم إلا كلابهم وشبه تيتل كبير الجثة يستخدمونه حمولة لهم ويغتذون بلحمه ولبنه ويحتذون بجلده ويشاركهم في تملك هذه القفار الدببة والذئاب الثلجية وغيرها من صنوف حيوان الفراء

وَهَؤُلَاءِ ٱلْقَوْمُ قِصَارُ ٱلْقَامَةِ ثِقَالُ ٱلْجِسْمِ سُمْرُ ٱلْبَشَرَةِ وَجِنَاتُهُمْ بَارِزَةٌ وَعُيُونُهُمْ مُسْتَطِيلَةٌ ضَيِّقَةٌ وَأَفْوَاهُهُمْ وَاسِعَةٌ بِشِفَاهٍ دَقِيقَةٍ وَأُنُوفُهُمْ قَصِيرَةٌ غَلِيظَةٌ فَكَأَنَّهُمْ جَمَعُوا كُلَّ أَوْصَافِ ٱلذَّمَامَةِ فِي ٱلْخِلْقَةِ

وَيَعِيشُونَ قَبَائِلَ وَزُرَافَاتٍ وَيَنْتَجِعُونَ بِكِلَابِهِمْ وَقُطْعَانِهِمْ إِلَى حَيْثُ رَاقَ لَهُمُ ٱلْمَرْعَى وَكَثُرَتِ ٱلْأَسْمَاكُ فِي ٱلصَّيْفِ وَيَتَوَغَّلُونَ فِي ٱلْآجَامِ فِي ٱلشِّتَاءِ يَمْتَنِعُونَ مِنْ قَرِّ ٱلْجَوِّ وَقَارِسِ ٱلْبَرْدِ وَبُيُوتُهُمْ زِرَابٌ مِنْ غُصُونِ ٱلْأَشْجَارِ يَكْسُونَهَا بِٱلْجُلُودِ وَٱلْأَصْوَافِ وَلَا يَتَّخِذُونَ مِنَ ٱلنَّوَافِذِ إِلَّا كُوَّةً فِي سَقْفِ ٱلْبَيْتِ يَصْعَدُ مِنْهَا دُخَانُ نَارِهِمْ وَقَتَارُ طَعَامِهِمْ وَيَجْلِسُونَ وَيَنَامُونَ مُتَقَبِّضِينَ عَلَى فُرُشٍ مِنَ ٱلْجُلُودِ وَٱلْفِرَاءِ وَيَخْزُنُونَ مَا ٱدَّخَرُوهُ مِنَ ٱلْمُؤَنِ عَلَى رُفُوفٍ يَنْصِبُونَهَا بَيْنَ ٱلْأَشْجَارِ ضَنًّا بِهَا أَنْ يَسْطُوَ عَلَيْهَا حَيَوَانَاتُ ٱلْبَرِّيَّةِ ٱلْكَاسِرَةُ وَيَلْبَسُونَ

فِي الصَّيْفِ جِلَابِيبَ وَأَقْمِصَةً مِنَ الصُّوفِ الْخَشِنِ. وَفِي الشِّتَاءِ لِبَاسُهُمْ حُلَّةٌ مِنَ الْفِرَاءِ وَعَلَى رُءُوسِهِمْ شِبْهُ طَرْبُوشٍ لَهُ زِرٌّ أَحْمَرُ وَأَحْذِيَتُهُمْ مِنْ جُلُودِ التُّيُوسِ يُبَطِّنُونَهَا بِوَرَقِ أَشْجَارِهِمْ طَلَبًا لِلدِّفْءِ وَمَنْعًا لِلرُّطُوبَةِ وَفِي الشِّتَاءِ يَتَّخِذُونَ صِنْفًا مِنَ الْحِذَاءِ نَعْلُهُ مِنَ الْخَشَبِ الْمَصْقُولِ يَجُرُّونَ بِهِ عَلَى الْجَمْدِ وَالْجَلِيدِ بِسُرْعَةٍ لَا تُدَانِيهَا سُرْعَةُ حَيَوَانٍ وَلَهُمْ مَرْكَبَاتٌ لَا عَجَلَ لَهَا مَصْنُوعَةٌ عَلَى هَيْئَةِ سَفِينَةٍ بَارِزَةِ الْقَعْرِ مِنَ الظَّاهِرِ يَجُرُّهَا التُّيُوسُ بِسُرْعَةٍ تَسْبِقُ الرِّيحَ وَيُوقِفُهَا الرَّاكِبُ بِمِرْدِيٍّ يَغْرِزُهُ فِي الْأَرْضِ

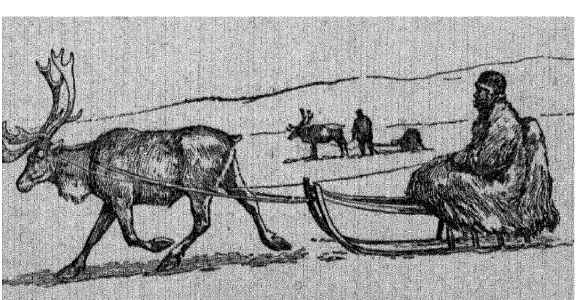

﴿ ٦٠ — ٱلْحَرِيقُ ﴾

قَرَقُوسُ	ٱلْقِتَامُ	تَسَعَّرَ	أَعْوَل
أَشْجَانُ	تَهْمِي	قُدَّ	يَهُولُ
ٱلْمُتَغَافِرُ	ٱنْبَرَى	تَفَجَّرُ	يَهْدِرُ
ٱلْهَتَّانُ	ٱنْتَشَلَ	ٱلْغَشَيَانُ	ٱلْجَنَانُ
ٱلْحَدَثَانُ			

بَلَغَ ٱلدُّخَانُ إِلَى ٱلسَّمَاءِ كَأَنَّهُ

قَرَقُوسُ إِذْ نَا هَاجَ بِٱلثَّوَرَانِ

هَرَعَ ٱلرِّجَالُ إِلَى ٱلْمَكَانِ لِيَكْشِفُوا

خَطْبًا أَصَابَ ٱلنَّاسَ بِٱلْخُسْرَانِ

وَأَوُا ٱلدُّخَانَ مَعَ ٱلْقِتَامِ تَسَعَّرَا

وَٱحْمَرَّ لَوْنُهُمَا مِنَ ٱلنِّيرَانِ

وَتَأَجَّجَتْ جُدُرٌ وَقَامَتْ صَيْحَةٌ

يَا لِلرِّجَالِ أُولِي ٱلْقُوَى ٱلشَّجْعَانِ

ظَهَرَتْ مِنَ الشُّبَّاكِ بِنْتٌ أَعْوَلَتْ
وَاسْتَنْجَدَتْ بِمُرُوءَةِ الْإِنْسَانِ
وَالشَّعْرُ مَحْلُولٌ يَمُوجُ وَيَنْثَنِي
وَالْقَوْمُ فِي فَزَعٍ وَفِي أَشْجَانِ
هَجَمَتْ عَلَى تِلْكَ الصَّبِيَّةِ أُمُّهَا
لِتَضُمَّهَا فِي صَدْرِهَا الْحَنَّانِ
وَدُمُوعُهَا تَهْمِي وَإِنَّ عَوِيلَهَا
لَيُذِيبُ قَلْبًا قَدَّ مِنْ صَوَّانِ
تَجْرِي بِهَا وَتَعُودُ حَيْرَى لَا تَرَى
مِنْ مَنْفَذٍ يُنْجِيهِمَا بِأَمَانِ
أُمٌّ تُقَاسِي حُرْقَتَيْنِ يَهُولُهَا
نَارَانِ نَارُ لَظًى وَنَارُ حَنَانِ
دَوَتِ الطَّرِيقُ وَزُلْزِلَتْ أَرْكَانُهَا
وَعَلَا غُبَارٌ شَقَّهُ فَرَسَانِ

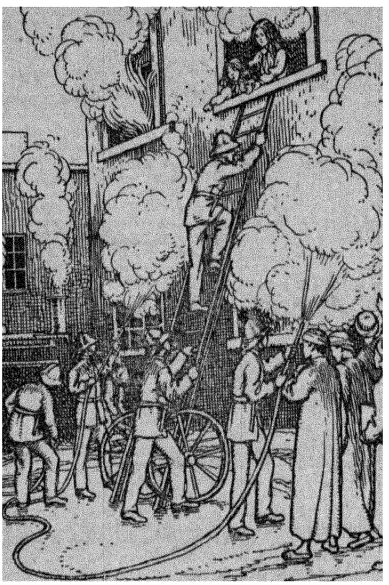

يَقفُوهُما بَرْقُ ٱلْمَغَافِرِ لاَمِعاً

يَسْرِى كَأَنَّ ٱلرَّكْبَ فى طَيَرَانِ

نَزَلَ ٱلْجُنُودُ مِنَ ٱلْمِصَخَّةِ وَٱنْبَرَوْا

يَثِبُونَ نَحْوَ تَفَجُّرِ ٱلْبُرْكَانِ

نَصَبُوا مَرَاقِيَهُمْ لِإِنْقَاذِ الْأُلَى
وَقَعُوا أُسَارَى النَّارِ وَالْجُذْرَانِ
وَالْمَاءُ يَهْدُرُ صَاعِداً مُتَدَفِّقاً
يَرْمِي الْجَحِيمَ بِصَيِّبٍ هَتَّانِ
صَعِدَ الْعَسَاكِرُ وَاللَّهِيبُ يَحُفُّهُمْ
وَالْأُمُّ تُومِئُ نَحْوَهُمْ بِبَنَانِ
دَخَلُوا مِنَ الشُّبَّاكِ وَانْتَشَلُوهُمَا
مِنْ بَعْدِ مَاوَهَتَا مِنَ الْغَشَيَانِ
هَتَفَ الشُّهُودُ لِمَارَأَوْا مِنْ فِعْلِهِمْ
مُولِي السُّرُورِ وَمُذْهِبِ الْأَحْزَانِ
وَتَسَارَعُوا بِمُنَبِّهَاتٍ أَنْعَشَتْ
لَهُمَا الْجَنَانَ فَقَامَتَا بِجَنَانِ
وَالْأُمُّ تَشْكُرُ بِاللِّسَانِ وَبِنْتُهَا
فِي حِضْنِهَا أَمِنَتْ مِنَ الْحَدَثَانِ

﴿ معانى الألفاظ الصعبة ﴾

ملاحظة — الألفاظ العامية مكتوبة بين قوسين

الصفحة :	الكلمة	المعنى
٢٥	عِرْنِينٌ	عظم الأنف بين الحاجبين
٢٧	غُضْرُوفٌ	عظم لين يكسو أطراف العظام
٣٨	اَلدِّبْسُ	عسل التمر
٤٠	اَلفَسِيفِسَاءُ	بلاط مصبوغ منقوش (الأشانى)
٤٠	شَمَسَاتٌ	ألواح
٤٩	اَلْمَطَاطُ	مادة مرنة (الستك)
٥٧	بَنِيقَةٌ	جزء القميص حول العنق (ياقة)
٥٧	رُدْنٌ	طرف كم القميص (اسورة)
٥٧	اَلرَّيْطَةُ	ثوب رقيق خفيف جدا (الشاش)
٦٥	مُؤَامَرَةٌ	المشاورة (عرض الأوراق)
٦٩	لَوْلَبٌ	آلة تنبض (زنبلك)

الصفحة :	الكلمة	المعنى
٧٦	اَلصَّنَجُ	حديدة مستديرة يضرب بها على مثلها (ساجات)
٨٩	زِمِكٌّ	مؤخر الحيوان
٩٢	إِطَارٌ	ما يحيط بالشئ (براوز)
٩٢	اَلْكَاغَدُ	الورق
٩٢	اَلدُّوَّامَةُ	كل شئ يدور حول قطب (رفاس)
٩٢	اَلسُّكَّانُ	آلة توجه سير السفينة (دفة)
١٠٥	اَلشُّرْطَةُ	الشِّحْنَةُ (البوليس)
١١٠	مَعْقُوفٌ	ملوى من الطرف
١١٦	مَهْيَمْ	ماذا تطلب (أفندم)
١٢٥	اَلْمَخَاضَةُ	جهة من النهر ماؤها قليل يخاض فيها
١٢٨	مَنَاخِسُ	جمع مِنْخس وهو آلة تنخس بها الدواب
١٢٨	عِقَابٌ	المرافى الصعبة من الجبال

الصفحة	الكلمة	المعنى
١٣٠	اَللَّازِبَةُ	الشدة والقحط
١٣٣	اَلسَّوَارِى	جمع سارية وهى الأسطوانة
١٣٣	مُتَيَنِّمٌ	خفى الصوت
١٤٣	جَعْفَرٌ	نهر كبير
١٤٣	اَلْمِرْجَلُ	إناء من صُفْر يغلى فيه الماء (قزان)
١٥١	جِيلٌ	جنس
١٥١	حَمُولَةٌ	دابة الحمل
١٥١	مُتَقَبِّضٌ	متداخل بعضه فى بعض (مكعمش)
١٥١	مُرْدِىٌ	قضيب من خشب يغرز فى قعر البحر لدفع السفينة (مدرى)
١٥٥	قَرَقُوسٌ	بركان
١٥٥	اَلْقَتَامُ	سواد يتصاعد من الاحتراق (هباب)
١٥٥	اَلْمَغَافِرُ	جمع مِغْفَر وهو طاس يلبس فى الرأس عند الحرب

تقريظ الكتاب

هذا ما تفضل به حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حمزة فتح الله المفتش الأول للغة العربية بوزارة المعارف سابقاً

تلوت هذا الكتاب أجزاءه الأربعةَ تأليف ولَدَيْنَا الجهْبَذَيْنِ على عمر بك وعبد الفتاح صبرى بك المتأثِّلَيْنِ بالسودَد العادىّ (القديم) غير الأقزم

فالفيته على حداثة طريقته ووضوح مَحَجَّتِهِ أنجع وسيلة لتناول النشء جَنَى موضوعه وما كل حديث يعاب

ولست أعجب لسلاسة عباراته وتوخّى مؤلفَيه فى أساليبه مناسبةَ طلّابه وما يشوق قارئيه إلى استيعابه فانها شنشِنَةٌ أعرفها من أخزم وإنما الحليق بأن يُتَعجَّب منه ما تجشماه فيه من تقريب العامِّيّة من العربية مع صحة المبنى والمعنى وما أُتيحَ لهما من ألفاظ عربية بدل العامية وضْعَ

الهِناء مواضع النُّقبِ ونِعْمت الخدمة للغة الشريفة

ثم التدرج بما يناسب سن الطلبة وسِنِيهم بحيث لا ينتهون من السنة الرابعة الا مُبَرَّزين على ذوى التجهيزيات بما انفرد به هذا الكتاب من فرائد الفوائد ما بين أخلاق وآداب ومواعظ وعلوم وكونيات علوية وسفلية الى غير ذلك مما يوافق خبرَه العيانُ وليس وراء العيان بيان فما أحرى مؤلفَيه بجميل الثناء وجزيل الدعاء

الفقير اليه عز شأنه

حمزة فتح الله

﴿ فهرس الكتاب ﴾

الصفحة	الموضوع
٢	المقدمة
٣	آيات الخالق
٥	الساعة الدقاقة عند العرب
٧	خطبة طارق قبل فتوح الاندلس
٩	السفرة الثانية من سفرات السندباد البحرى (١)
١٢	السفرة الثانية من سفرات السندباد البحرى (٢)
١٥	السفرة الثانية من سفرات السندباد البحرى (٣)
١٨	الهواء
٢٠	دولة المماليك فى مصر
٢٢	فى طلب المعالى وعزة النفس
٢٥	أجسامنا (١)
٢٧	أجسامنا (٢)
٣٠	التاريخ (١)
٣٢	التاريخ (٢)
٣٣	الاعتراف بالجميل
٣٥	يعسوب النحل (١)
٣٨	يعسوب النحل (٢)
٤٠	الجامع الاموى بدمشق (١)
٤٣	الجامع الاموى بدمشق (٢)
٤٦	سيدنا نوح
٤٩	الكهرباء
٥١	المدينة المنورة
٥٥	الحماسة
٥٧	النشا

الصفحة	الموضوع
٦٠	كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته (١)
٦٣	كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته (٢)
٦٥	كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته (٣)
٦٧	الوشاية
٦٩	التلغراف
٧٢	زهد الهنود (١)
٧٦	زهد الهنود (٢)
٧٨	ما جزاء الوالد من ولده
٨٠	زيت البترول
٨٣	بغداد (١)
٨٥	بغداد (٢)
٨٧	الفضيلة
٨٩	العرب والطيران
٩٢	الطيران
٩٥	أعراب البادية (١)
٩٨	أعراب البادية (٢)
١٠١	نكران الجميل
١٠٢	تنازع البقاء
١٠٥	الخليفة ورئيس الشرطة
١٠٧	التحذير من هوى النفس
١١٠	مصنع الجسم
١١٣	فى سبيل الوطن
١١٦	ذكاء القاضى
١١٩	آيات الوفاء
١٢١	وصف مصر
١٢٣	وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها

الصفحة	الموضوع
١٢٥	الفرج بعد اليأس
١٢٨	الرخام
١٣٠	ولئن شكرتم لأزيدنكم
١٣٣	الحرب
١٣٦	التاج محل
١٤١	منفاخ الجسم
١٤٣	جنادل نيكرا
١٤٦	منظر بستان
١٤٨	حكومة الجسم
١٥١	أهل لابلند
١٥٥	الحريق
١٥٩	معانى الالفاظ الصعبة
١٦٢	تقريظ الكتاب